كتب الفراشة - القصص العالميّة

جَزِيرَةُ الكَنْز



كتب الفراشة - حكايات محبوبة

جَزيرَةُ الكَنْزْ



تـأليف : رُوبرْت لويس سْتيفنْسُون

تـرجَمَة: حسَين محمّد الجيّـار

مَكتبَة لبْنـان نـاشِرُون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب: ١١-٩٢٣٢
بيروت - لبنان
http://www.librairie-du-liban.com.lb

وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى : ٢٠٠٠

طُبع في لبنان

رقم الكتاب: 01C196826



مقدّمة

الجُزُر غير المأهولة ، أي الجزر التي لا يسكنها أحد - لكنْ يتخيّلها الناس عادةً وفيرةَ الطعام في بحرها وبَرّها ، فوق أشجارها وتحت أشجارها ، وذات ماء عَذْب غزير - طالما أثارت اهتمامَ القرّاء واستهوت قلوبهم . لعلّ واحدة من أوائل الجزر غير المأهولة في الأدب الإنجليزيّ هي تلك التي وردت في قصّة **روبِنْسُن كروزو** (١٧١٩) التي كتبها دانيال ديفو . وقد كَتَب شيكسبير مسرحيّة بعنوان **العاصفة** جعل أحداثها تدور أيضًا في جزيرة غير مأهولة في العالَم الجديد . ولعلّك قرأت في حكايات السّندباد البحريّ القديمة عن جزر غير مأهولة .

لا شكّ أنّه كان في البحر الكريبي وفي جنوب المحيط الهادئ جزرٌ غيرُ مأهولة ، لكنْ لم يكن بينها إلّا القليل ممّا ينطبق عليه ما ورد في حكايات الجزر من وفرة في الطعام وغزارة في الماء العَذْب . ولعلّ الجزيرة في قصّة **عائلة روبِنْسُن السويسريّة** (١٨١٣) هي أكثر تلك الجزر إثارةً للدهشة ، ففيها اقتنتِ العائلة حمارًا وبقرة وخرافًا ودجاجًا وحمائم وبطًّا ، والتقت نمورًا وطيورَ بَشَروس ونعامات ودِبَبة ، ووجدت أنواعًا عديدة من النباتات مثل البطاطس والأناناس .

أمّا جزيرة روبِرْت لويس ستيفِنسُن التي تخيّلها مسرحًا لأحداث هذه القصّة ، فلم تكن من الجزر المستحيلة . لقد تحدّرتْ عنزات بِنْ جَنْ من عنزات خلّفتْها سفينةٌ وراءها على الشاطئ ، وكان بِنْ جَنْ يتوق إلى طعام شهيّ يفتقده في تلك الجزيرة النائية .

في الوقت الذي تدور فيه أحداث القصّة ، وهو العام ١٧٥٩ ، كما يروي أحد أبطالها ، كان لا يزال للقراصنة وجودٌ في البحر الكريبي . لكنّ السُّفُن الحربيّة التابعة لعدد من الدول كانت تطاردهم بلا هَوادة . ولقد أُلقِي القبضُ على الكابتن كِد (ولعلّه القُرصان الذي استوحى ستيڤِنسُن منه في كتابه **جزيرة الكنز** شخصيّةَ القرصان فْلِنْت) في بوسطن في العام ١٦٩٩ ، وأُعدِم شنقًا في لندن في العام ١٧٠١ . ولا شكّ أنّ الكابتن كِد كان قد دَفَن الكنز الذي جمعه من السفن العديدة التي استولى عليها ، ولا يزال الناس يبحثون عن هذا الكنز في أجزاء من العالَم حيث كان كِد نَشِطًا . ولعلّ بعضهم استخدم في بَحْثه خرائطَ حصل عليها من رجال يصعب الوثوق بهم مثلما كان يصعب الوثوق بجون لونج سيلْڤر والقراصنة من رجال فْلِنْت .

جزيرة الكنز هي الجزيرة المرسومة على الخريطة التي وجدها الفتى جيم هوكِنْز في صندوق بيلي بونْز ، القُبطان المَيت . يُقرِّر العُمدة المحلّي والطبيب وجيم البحثَ عن الكنز ، ويشترون لهذا الغرض سفينةً . لكنّهم يختارون للسفينة بحّارةً قُساة كانوا هم أنفسهم الذين لاحقوا القبطان بيلي بونْز بـ« البقعة السوداء » المخيفة . إنّ المغامرات التي يخوضها فريق الناس الصادقين ، ومن بينهم الفتى جيم ، في مواجهة القراصنة بقيادة ذي الساق الواحدة لونج جون سيلْڤر ، جعلت من هذه القصّة الممتِعة كتابًا كلاسيكيًّا في الأدب الإنجليزيّ تتناقله الأجيال .



جَـزيـرَة الكَـنْز

حَوالى عامِ ١٧٥٠ كان جيم هوكنز - وَهُوَ الصَّبِيُّ ذو الخَمْسَةَ عَشَرَ رَبيعًا المُمْتَلِئُ نَشاطًا وحَيَوِيَّةً - يُساعِدُ أَباهُ وأُمَّهُ في مَقْهى بِنْبو الواقِع فَوْقَ المُنْحَدَراتِ الصَّخْرِيَّةِ القَريبَةِ من مَدينَةِ برِسْتول. وفي أَحَدِ الأَيّامِ أَصابَهُ الذُّعْرُ حينَ حَضَرَ إلى المَقْهى بَحّارٌ عَجوزٌ ذو هَيْئَةٍ وَحْشِيَّةٍ مُخيفَةٍ، واقْتَرَبَ منه وطَلَبَ كَأْسًا مِنَ العَصيرِ. كان هذا البَحّارُ يَرْتَدي سُتْرَةً زَرْقاءَ مُتَّسِخَةً، وكانت يَداهُ وأَظافِرُهُ في غايَةِ القَذارَةِ، وكان يُرى على خَدِّهِ أَثَرٌ قَبيحٌ لِجُرْحٍ من طَعْنَةِ سَيْفٍ. وبَعْدَ أَنِ ارْتَشَفَ ما كان في كَأْسِهِ من عَصيرٍ، أَخَذَ يَتَطَلَّعُ إلى البَحْرِ، وأَثارَ دَهْشَةَ جيم حينَ انْفَجَرَ فَجْأَةً يَتَرَنَّمُ بِأُغْنِيَةٍ قَديمَةٍ وغَريبَةٍ من أَغاني البَحّارَةِ ظَلَّتْ تَعيشُ في ذاكِرَةِ جيم لِسَنَواتٍ كَثيرَةٍ فيما بَعْدُ. كانت كَلِماتُ الأُغْنِيَةِ تَقولُ:

«خَمْسَةَ عَشَرَ مِنَ الرِّجالِ وَقَفوا فَوْقَ صُنْدوقِ الرَّجُلِ المَيْتِ، يوهوهو، يوهوهو.»

وبَعْدَ أَنِ انْتَهى مِنَ الأُغْنِيَةِ سَأَلَ جيم عمّا إذا كانَ المَقْهى يَرْتادُه زُوّارٌ كَثيرون. وبَدا عليه الإِرْتِياحُ حينَ أَخْبَرَهُ جيم أَنّه مَكانٌ في غايَةِ الهُدوءِ والسُّكونِ. ثُمَّ قالَ مُخاطِبًا جيم: «إذًا، فهذا هو المَكانُ المُناسِبُ لي. الآنَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَدْعُوَني بِالكابْتِنِ. وأَمّا عَنِ الحِسابِ فَخُذْ هذه لِتُسَيِّرَ بها أُمورَكَ». وأَلْقى على الأَرْضِ أَرْبَعَ قِطَعِ نَقْدٍ ذَهَبِيَّةٍ، ثُمَّ أَرْدَفَ قائِلًا:

«هُناكَ المَزيدُ من حَيْثُ جِئْنا بهذا، فلا تَخْشَ شَيْئًا أَبَدًا.»



بَعْدَئِذٍ حُمِلَ صُنْدوقُهُ البَحْرِيُّ إلى غُرْفَتِهِ حَيْثُ بَدَأَ يَحْرُسُهُ كما لو كان يَحْوي كُلَّ ما يَمْلِكُ في هذه الدُّنْيا ، إنْ لم يَكُنْ أَكْثَرَ من ذلِكَ . وهذا ما دَفَعَ جيم في بَعْضِ الأَحْيانِ إلى الظَّنِّ بأنَّ هذا هو صُنْدوقُ الرَّجُلِ المَيْتِ المَذْكورِ في الأُغْنِيَةِ .

كان الكابْتِنُ يَقْضي كَثيرًا من وَقْتِهِ على المُنْحَدَراتِ الصَّخْرِيَّةِ ومعه مِنْظارُهُ المُقَرِّبُ ، وكان يَبْدو قَلِقًا كما لو كان يَتَوَقَّعُ زائِرًا غَيْرَ مَرْغوبٍ فيه . وبِالفِعْلِ فإنَّهُ ذاتَ صَباحٍ طَلَبَ من جيم أنْ يَرْقُبَ بِعَيْنٍ فاحِصَةٍ مَلّاحًا بِساقٍ واحِدَةٍ . وظَلَّ يُكَرِّرُ طَلَبَهُ بَيْنَ الحينِ والحينِ حَتّى بَدَأَ ذلِكَ المَلّاحُ الغَريبُ بِساقِهِ الواحِدَةِ يُطارِدُ جيم في أَحْلامِهِ ، إلى حَدٍّ جَعَلَهُ يَخْشى يَوْمِيًّا أنْ يَظْهَرَ هذا الشَّبَحُ المُخيفُ على بابِ المَقْهى .

في هذا الوَقْتِ أَصابَ المَرَضُ والِدَ جيم ، وصارَ طَبيبُ القَرْيَةِ دكتور ليڤْزي يَعودُهُ كُلَّ يَوْمٍ . وما أَسْرَعَ ما أَحَسَّ الطَّبيبُ بِنُفورٍ تُجاهَ البَحّارِ العَجوزِ المُزْعِجِ ، وَحَذَّرَهُ من أنَّهُ لن يَعيشَ طَويلًا إذا لم يُدارِ صِحَّتَهُ .

ثُمَّ جاءَ يَوْمٌ حَضَرَ فيه إلى المَقْهى بَحّارٌ رَثُّ الهَيْئَةِ ، وأُصيبَ جيم بِشَيْءٍ مِنَ الذُّعْرِ حينَ تَطَلَّعَ إلى وَجْهِهِ الشّاحِبِ ويَدِهِ اليُسْرى الّتي فَقَدَتِ اثْنَيْنِ من أَصابِعِها .

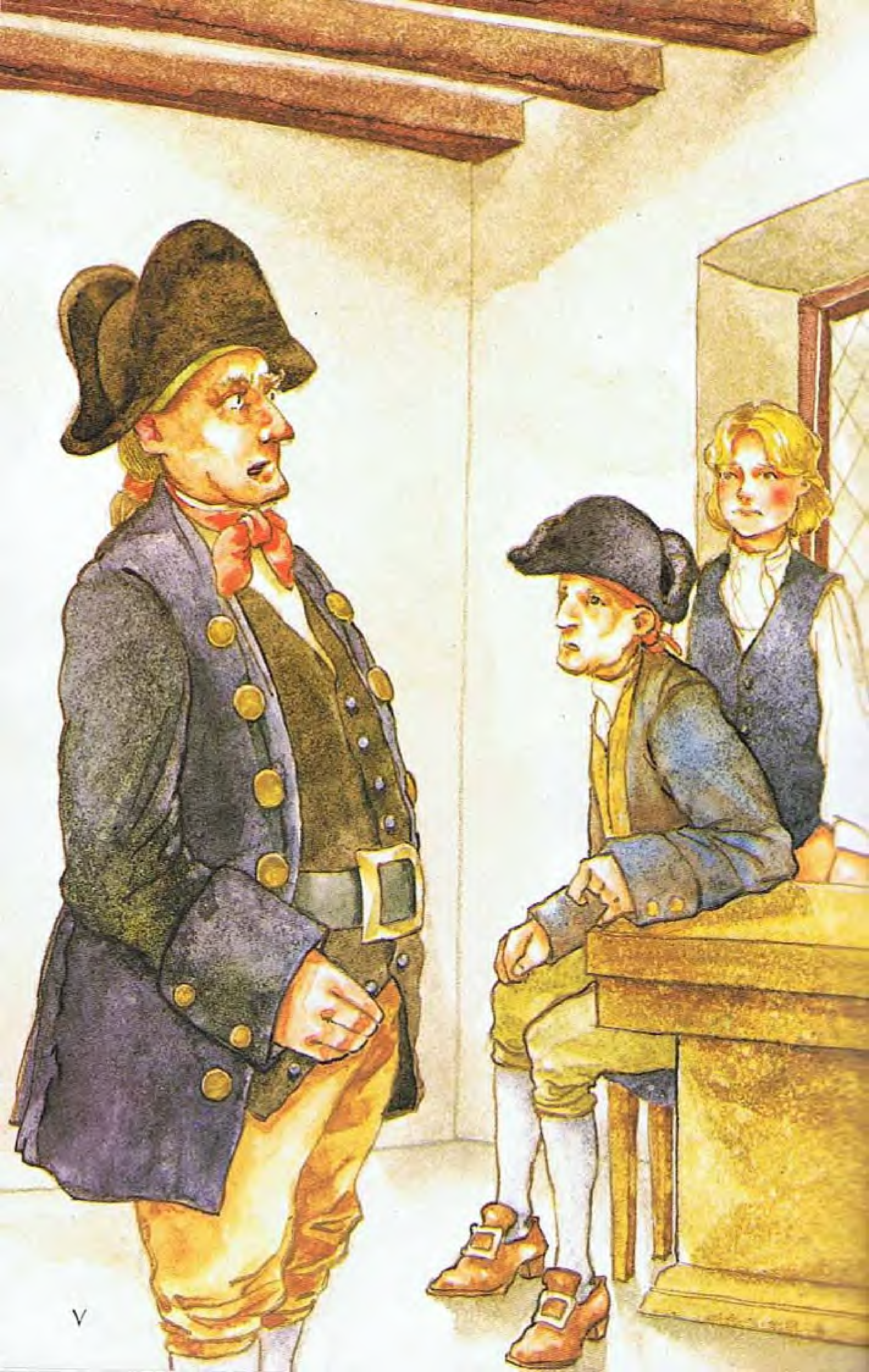
بادَرَ هذا الزّائِرُ الغامِضُ جيم قائِلًا :

« يا وَلَدي ، هَلْ يُقيمُ هُنا صَديقي بيلي بونز ، ذلِكَ الّذي يُمَيِّزُ خَدَّهُ أَثَرٌ لِجُرْحٍ من طَعْنَةِ سَيْفٍ ؟ » تَرَدَّدَ جيم في الإجابَةِ ، لكنْ في تلك اللَّحْظَةِ أَطَلَّ الكابْتِنُ نَفْسُهُ ، وعِنْدَئِذٍ صاحَ الرَّجُلُ الغَريبُ قائِلًا :

« مَرْحَبًا يا بِلْ ، لا بُدَّ أنَّكَ تَذْكُرُ صَديقَكَ القَديمَ بْلاك دُج ، أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟ »

اسْتَدارَ الكابْتِنُ وقَدِ امْتَقَعَ لَوْنُهُ ، وأَخَذَ يُتَمْتِمُ : « بْلاك دُج ! » ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى جيم بِعَصَبِيَّةٍ ظاهِرَةٍ وطَلَبَ منه أنْ يَتْرُكَهُما لِيَتَحَدَّثا لِلَحْظَةٍ على انْفِرادٍ . وسُرْعانَ ما انْقَلَبَ الحَديثُ إلى صِياحٍ وشِجارٍ سُمِعَ بَعْدَهُ الكابْتِنُ وهُوَ يَصيحُ :

« إذا ما وَصَلَ الأَمْرُ إلى الشَّنْقِ فَلْيُشْنَقِ الجَميعُ . »



V

ثُمَّ حَدَثَ ارْتِطامٌ لِطاوِلاتٍ مَقْلوبَةٍ لاذَ الغَريبُ بَعْدَها بِالفِرارِ مِنَ المَقْهى وجَرى الكابْتِن وَراءَهُ مُحاوِلًا طَعْنَهُ بِسَيْفِهِ. هَرَبَ الوَغْدُ تارِكًا الكابْتِنَ وقد هَزَّتْهُ التَّجْرِبَةُ هَزًّا شَديدًا. ولم تَمْضِ لَحَظاتٌ حَتّى أصابَ جيم رُعْبٌ شَديدٌ حينَ رَأى الكابْتِنَ يَنْهارُ ويَسْقُطُ على الأَرْضِ فاقِدَ الوَعْيِ. إذًا فقد صَدَقَتْ تَحْذيراتُ دكتور ليڤزي، فها هُوَذا الكابْتِنُ يُعاني من أَزْمَةٍ قَلْبِيَّةٍ. ولِحُسْنِ الحَظِّ تَصادَفَ أنْ حَضَرَ دكتور ليڤزي لِعِيادَةِ والِدِ جيم، فَاعْتَنى بِالكابْتِنِ المُصابِ، وبِمُعاوَنَةِ جيم نَقَلَهُ إلى غُرْفَتِهِ بِالطّابِقِ العُلْوِيِّ.

مَرَّ يَوْمانِ والكابْتِنُ راقِدٌ في فِراشِهِ لم يَبْرَأْ بَعْدُ، ونادى جيم بِصَوْتٍ واهِنٍ، وحينَ أتاهُ قالَ له:



« لقَد رَأَيْتَ بْلاك دُج يا جيم، أَلَيْسَ كذلِكَ؟ إنَّهُ رَجُلٌ شِرّيرٌ جاءَ يَسْعى وَراءَ صُنْدوقي، وهُناكَ عِصابَةٌ مِنَ الأَشْرارِ يَسْعَوْنَ وَراءَهُ أَيْضًا. وتَوَقَّفَ لِيَلْتَقِطَ أَنْفاسَهُ ثُمَّ قالَ:

« اِذْهَبْ يا جيم إلى دكتور ليڤزي، واطْلُبْ منه أنْ يُحْضِرَ السُّلُطاتِ لِلْقَبْضِ على العِصابَةِ عِنْدَما يَأتي أَفْرادُها لِأَخْذِ الصُّنْدوقِ. إنَّهُمْ جَميعًا قَراصِنَةٌ يَعْمَلونَ بَحّارَةً مع فْلِنْت العَجوزِ، ولَمّا كُنْتُ أنا أَوَّلَ مَنْ رافَقَ فْلِنْت فقَدِ اطَّلَعْتُ على سِرِّهِ، وهذا هو ما يَسْعَوْنَ لِلْحُصولِ عليه. لكِنْ عليهم أَوَّلًا أنْ يُسَلِّموني البُقْعَةَ السَّوْداءَ وهذا يَعْني اسْتِدْعائي لِلْمُثولِ أمامَهُم لِمُحاسَبَتي يا جيم.»

ولم يُصَدِّقْ جيم أُذُنَيْهِ، كَيْفَ يَتَوَرَّطُ هكَذا مع قَراصِنَةٍ، مَعَ الكابْتِنِ فْلِنْت المُتَعَطِّشِ لِلدِّماءِ ومع سِرِّهِ، والآنَ مَعَ البُقْعَةِ السَّوْداءِ الغامِضَةِ؟ ماذا يَعْني كُلُّ ذلِكَ؟ وبَدأَ جيم شَيْئًا فَشَيْئًا يَخْشى الكابْتِنَ بِثَوْرَتِهِ وهِياجِهِ وبِقَصَصِهِ المُرْعِبَةِ. وانْتابَهُ شُعورٌ بِأنَّ الكابْتِنَ رُبَّما يَنْدَمُ على أنَّهُ أَطْلَعَهُ على أُمورٍ كَثيرَةٍ، وحينَئِذٍ قد يُقَرِّرُ فَجْأَةً أنْ يَتَخَلَّصَ منه.



لكنّ جيم طَرحَ مَخاوِفَهُ جانِبًا عِنْدما ماتَ والِدُهُ بَعْدَ أيّامٍ قَليلَةٍ. لقد أَصْبَحَ الآنَ هو وأُمُّهُ وَحيدَيْنِ. وبَعْدَ تَشْييعِ جِنازَةِ أبيهِ مَرَّ الاثْنانِ بِتَجارِبَ أُخْرى مُزْعِجَةٍ. لقد سَمِعا صَوْتَ دَقّاتٍ خَفيفَةٍ من عَصًا كأنّها لِمَكْفوفٍ يَتَحَسَّسُ طَريقَهُ إلى المَقْهى. وحينَما خَرَجَ جيم لِيَسْتَطْلِعَ الأَمْرَ أَصابَهُ الرُّعْبُ حينَ رَأى شَكْلًا بَشَرِيًّا غَريبًا يَجُرُّ قَدَمَيْهِ نَحْوَ بابِ المَقْهى. وبِالفِعْلِ كان الرَّجُلُ مَكْفوفًا، وبَدا كأنَّهُ ذو حَدَبَةٍ ومُشَوَّهٌ كَأَشْباحِ الكَوابيسِ.

قالَ الرَّجُلُ في صَوْتٍ مُرْتَجِفٍ: «أَيْنَ أنا يا صَديقي؟»

أَخْفى جيم ما أَصابَهُ من رُعْبٍ وأَخْبَرَ الرَّجُلَ أنَّهُ عِنْدَ مَقْهى بِنْبو. فَقالَ الرَّجُلُ: «آه! هَلْ تَتَكَرَّمُ أيُّها الشّابُّ فَتَأْخُذَ بِيَدي إلى داخِلِ المَقْهى؟ إنّي أُحِبُّ أَنْ أَنالَ قِسْطًا مِنَ الرّاحَةِ.»

وما إنْ أَخَذَ جيم بِيَدِ الرَّجُلِ المُمْتَدَّةِ إليه حَتّى قَبَضَ الأَعْمى على ذِراعِهِ بِقُوَّةٍ وقالَ بِوَحْشِيَّةٍ:

«خُذْني إلى الكابْتِنِ وإلّا كَسَرْتُ ذِراعَكَ.»

صَرَخَ جيم مُتَأَلِّمًا من لَيِّ ذِراعِهِ، وقادَ الرَّجُلَ إلى القاعَةِ وصاحَ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ:

«هذا صَديقٌ يُريدُ أَنْ يَراكَ أيُّها الكابْتِنُ.»

تَجَمَّدَ وَجْهُ الكابْتِنِ مِنَ الرُّعْبِ حينَ شاهَدَ الرَّجُلَ الأَعْمى يَمُدُّ يَدَهُ بِقُصاصَةٍ مِنَ الوَرَقِ، وتَناوَلَ قُصاصَةَ الوَرَقِ مُتَمْتِمًا:

«إنَّهُ بِيو الأَعْمى!»

«الآنَ لَقَدِ انْتَهَيْنا من ذلِكَ!» قالَها الرَّجُلُ الأَعْمى وهو يستدير مُتَّجِهًا نَحْوَ البابِ، ومنه دَلَفَ خارِجًا إلى طَريقِ الصُّخورِ.

كان جيم لا يَزالُ يَرْتَجِفُ وَهُوَ يَسْتَمِعُ إلى دَقّاتِ العَصا وصَوْتُها يَتَلاشى شَيْئًا فَشَيْئًا. وفي الوَقْتِ نَفْسِهِ بدا الكابْتِنُ كأنَّهُ قد أُصيبَ بِالشَّلَلِ من شِدَّةِ الخَوْفِ، ومع ذلِكَ فَحينَ أَلْقى نَظْرَةً سَريعَةً على قُصاصَةِ الوَرَقِ صاحَ في ثَوْرَةٍ وهِياجٍ:



« البُقْعَةُ السَّوْداءُ – السّاعَةُ العاشِرَةُ – سَوْفَ نَتَوَلّى أَمْرَهم يا جيم ، سَوْفَ نُوَجِّهُ ضَّرْبَةَ إلى پيو الأَعْمى وعِصابَتِهِ . » وما إن نَطَقَ بِذلِكَ حَتّى تَرَنَّحَ ، وتَشَبَّثَ بِحَلْقِهِ ثُمَّ ـقَطَ مُرْتَطِمًا بِالأَرْضِ في نَوْبَةِ إغْماءٍ مُفاجِئَةٍ فارَقَ على أَثَرِها الحَياةَ .

أَصابَتْ هذه الأَحْداثُ جيم وأُمَّهُ بِما يُشْبِهُ الدُّوارَ ، وتَمَلَّكَهُما ذُعْرٌ شَديدٌ : لقد كانت هُناكَ جُثَّةُ مَيْتٍ في القاعَةِ ، ورَجُلٌ أَعْمى شِرِّيرٌ لَيْسَ عنهما بِبَعيدٍ . ولكنَّ مسز هوكنز - كَامْرَأَةٍ عَمَلِيَّةٍ دائِمًا - قَرَّرَتْ أَنْ تَأْخُذَ ما كان الكابْتِنُ مَدينًا لها به من مالٍ ، ومن أَجْلِ هذا طالَبَتْ وَلَدَها جيم بِأَنْ يَبْحَثَ عن مِفْتاحِ الصُّنْدوقِ . وأَخَذَ جيم - وَهُوَ يَرْتَجِفُ رُعْبًا - يَبْحَثُ في جُيوبِ الكابْتِنِ دونَ جَدْوى ، ولكنّه أَخيرًا وَجَدَ المِفْتاحَ مُتَدَلِّيًا من حَوْلِ رَقَبَةِ الكابْتِنِ . وسُرْعانَ ما صَعِدَ هو وأُمُّه إلى الطّابِقِ العُلْوِيِّ وفَتَحا الصُّنْدوقَ فَوَجَدا فيه مَجْموعَةً مِنَ المَلابِسِ ومُسَدَّسَيْنِ ، وتَحْتَ هذا كُلِّهِ اكْتَشَفا بَعْضَ أَوْراقٍ مَلْفوفَةٍ وكيسًا فيه نُقودٌ . في هذه اللَّحْظَةِ سَمِعا مَرَّةً أُخْرى دَقّاتِ عَصا الرَّجُلِ الأَعْمى ، وتَبِعَتْها خَشْخَشَةٌ في بابِ المَقْهى الّذي كان لِحُسْنِ الحَظِّ مُغْلَقًا بِإِحْكامٍ ، فعادَ الأَعْمى أَدْراجَهُ من حَيْثُ جاءَ . وخاطَبَ جيم أُمَّهُ قائِلًا والخَوْفُ مُسْتَبِدٌّ به :

« لا بُدَّ أَنْ نَرْحَلَ يا أُمّاهُ على الفَوْرِ . سَوْفَ يَعودُ هذا الأَعْمى مَصْحوبًا بِآخَرينَ . »

أَخَذَتِ الأُمُّ بَعْضَ النُّقودِ مِنَ الكيسِ وأَجابَتْ وَلَدَها قائِلَةً :

« سَوْفَ آخُذُ ما نَسْتَحِقُّهُ دونَ زِيادَةٍ . »

ورَدَّ عليها جيم قائِلًا بَعْدَ أَنْ أَمْسَكَ بِحُزْمَةِ الأَوْراقِ :

« أَمّا أنا فَسَوْفَ تَكونُ هذه هي نَصيبي . »

أَسْرَعَ الاثْنانِ خارِجَ المَقْهى مُتَّجِهَيْنِ - في ضَوْءِ القَمَرِ - شَطْرَ القَرْيَةِ على بُعْدِ ميلٍ أو نَحْوِ ذلِكَ ، ولكنْ أَثْناءَ سَيْرِهِما سَمِعا بِالقُرْبِ منهما أَصْواتَ أَقْدامٍ تُهَرْوِلُ . وفي عَتْمَةِ اللَّيْلِ تَمَكَّنا من رُؤْيَةِ رَهْطٍ مِنَ الرِّجالِ وهُمْ يُسْرِعونَ نَحْوَ المَقْهى وفي يَدِ أَحَدِهِمْ مِصْباحٌ يَتَأَرْجَحُ ذاتَ اليَمينِ وذاتَ الشِّمالِ . عِنْدَئِذٍ تَعَثَّرَتْ قَدَمُ مسز هوكنز وكادَتْ أَنْ تَسْقُطَ مَغْشِيًّا عليها ، لولا أَنْ أَسْرَعَ جيم يَجْذِبُها إلى ظِلِّ جِسْرٍ صَغيرٍ حَيْثُ



انْتَظَرا مُرورَ العِصابَةِ دونَ أنْ يَراهُما أَحَدٌ. وبِقَلْبٍ مُثْقَلٍ اخْتَلَسَ جيم نَظْرَةً من فَوْقِ الرُّكامِ ورأى حَوالى ثَمانِيَةِ رِجالٍ وهُمْ يُحاوِلونَ تَحْطيمَ بابِ المَقْهى. وكانَ پْيو الرَّجُلُ الأَعْمى يَقودُ العَمَلِيّاتِ وَهُوَ في قارِعَةِ الطَّريقِ. ولم يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى اقْتَحَمَتِ العِصابَةُ المَقْهى، وسُرْعانَ ما صاحَ أَحَدُهُم أنَّ بيلي بونز يَرْقُدُ مَيْتًا في القاعَةِ. وأَصْدَرَ پْيو أَوامِرَهُ قائِلًا:

«فَتِّشوهُ، ولْيُحْضِرْ بَعْضُكُمُ الصُّنْدوقَ.»

ظَهَرَ رَأْسُ رَجُلٍ من نافِذَةِ غُرْفَةِ النَّوْمِ وقالَ:

«لقد كانوا هُنا قَبْلَنا، وتَرَكوا بَعْضَ النُّقودِ. ولكنَّ الأَوْراقَ قَدِ اخْتَفَتْ.»

وبَدَتْ ثَوْرَةُ الغَضَبِ العارِمَةُ على مُحَيّا پْيو وقالَ:

«فَتِّشوا البَيْتَ، ثُمَّ انْتَشِروا لِلْبَحْثِ عَنْهُم.»

وهُنا سُمِعَتْ أَصْواتُ ارْتِطامِ الأَخْشابِ المُهَشَّمَةِ عِنْدَما شَرَعَ أولئِكَ الأَشْرارُ في تَنْفيذِ الأَوامِرِ الصّادِرَةِ إليهِم. وفَجْأَةً سُمِعَ صَوْتُ صَفيرٍ وصاحَ أَحَدُهُم مُحَذِّرًا:



«خُذوا النُّقودَ وفِرُّوا من هُنا.» لكنَّ پيو صاحَ بهم قائِلًا: «الأَوْراق... إنَّ حُصولَكُم عليها سَيَجْعَلُكُم أَثْرِياءَ.»

في هذه اللَّحْظَةِ دَوّى صَوْتُ طَلَقٍ نارِيٍّ وسُمِعَتْ أَصْواتُ خُيولٍ تَعْدو بِسُرْعَةٍ فأَسْرَعَ أَفْرادُ العِصابَةِ يَخْتَفونَ في ظُلُماتِ الرّيفِ. وسُمِعَ الرَّجُلُ الأَعْمى يَصيحُ:

«لا تَدَعوني وَحيدًا يا أَوْلادي. لا تَنْسَوا پْيو العَجوزَ.»



في لَحْظَةِ يأْسٍ تَعَثَّرَ الرَّجُلُ على الطَّريقِ في الوَقْتِ الّذي كان الخَيّالَةُ فيه بِقِيادَةِ مستر دانْس – الضّابِطِ المَنوطِ به تَحْصيلُ الضَّرائِبِ – يَتَّجِهونَ نَحْوَ المَقْهى. وتَرَدَّدَ پيو قَليلًا ثُمَّ اسْتَدارَ وَهُوَ في حَيْرَةٍ من أَمْرِهِ، لكنَّ الخُيولَ المُسْرِعَةَ لم تَتَمَكَّنْ من تَجَنُّبِهِ فَانْقَلَبَ على وَجْهِهِ، وداسَتْهُ الخُيولُ لِتَقْضِيَ عليه في الحالِ.

هُنا هبَّ جيم من مخبئه ونادى على الخَيّالَةِ. ورَكِبَ مستر دانْس ومعه جيم إلى المَقْهى، وهُناكَ أَصابَهُ أَسًى شَديدٌ حينَ شاهَدَ ما حَدَثَ للمَقْهى من دَمارٍ مُخيفٍ. وبَعْدَ أنِ اسْتَمَعَ مستر دانْس إلى قِصَّةِ جيم سَأَلَهُ قائِلًا:

« لقد أَخَذوا النُّقودَ كما تَقولُ يا هوكنز. ماذا كانوا يُريدونَ غَيْرَ ذلِكَ؟ » وأَجابَ جيم:

« ما كانوا يَبْحَثونَ عن مالٍ أَكْثَرَ مِمّا حَصَلوا عليه. إنّما كانوا يَسْعَوْنَ وَراءَ هذه الأَوْراقِ. »

وأَخْرَجَ من جَيْبِ سُتْرَتِهِ حُزْمَةَ الأَوْراقِ وأَرْدَفَ قائِلًا:

« أَعْتَقِدُ أَنّهُ يَنْبَغي أنْ يَطّلِعَ دكتور ليڤزي فَوْرًا على هذه الأَوْراقِ. »

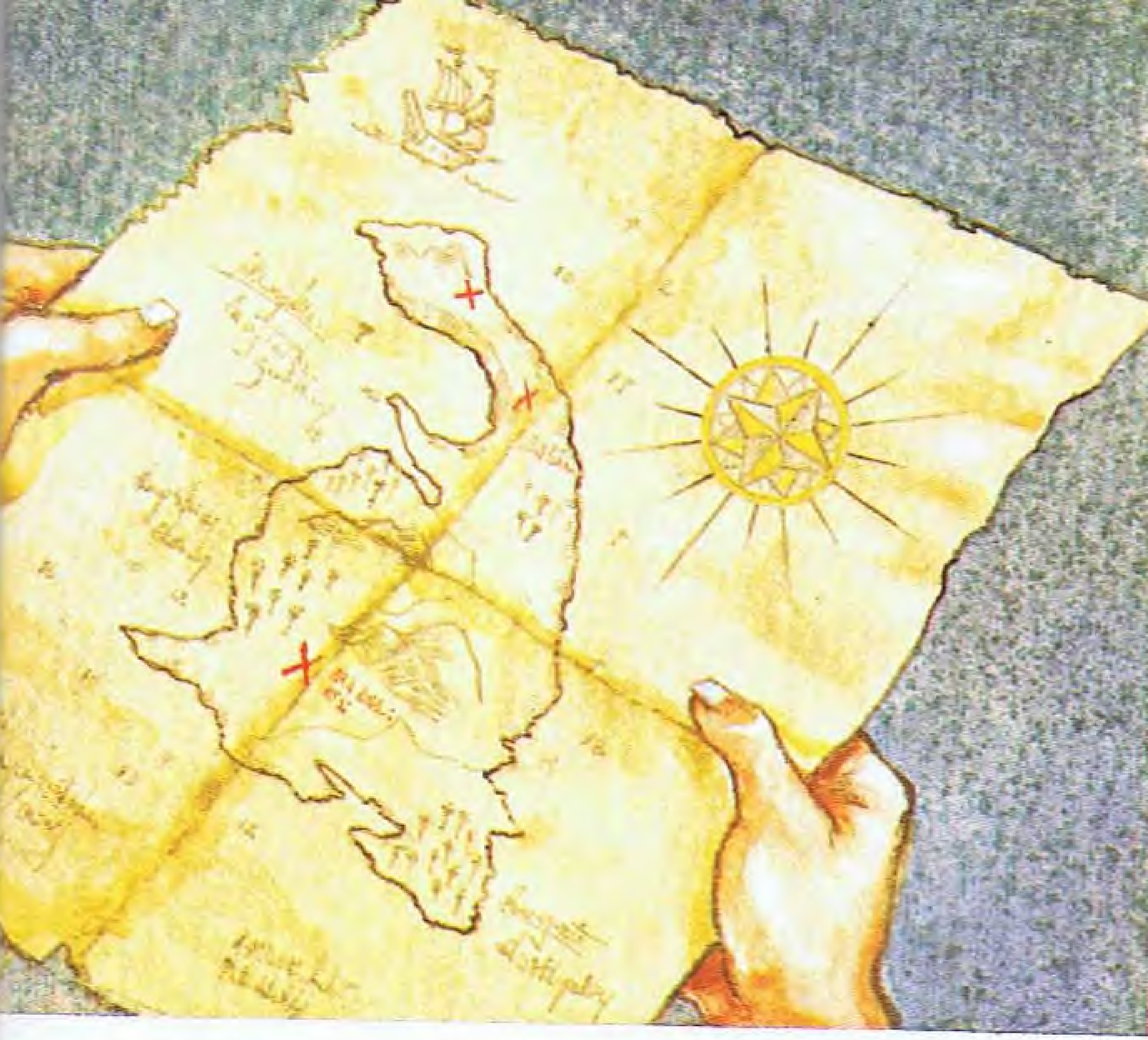
ورَدَّ عليه مستر دانْس قائِلًا:

« هذا أَمْرٌ طَبيعِيٌّ يا وَلَدي، وسَوْفَ آخُذُكَ إليه في الحالِ. »

في نِهايَةِ الأَمْرِ وَجَدوا دكتور ليڤزي في بَيْتِ مستر تريلوني كَبيرِ المُلّاكِ في القَرْيَةِ، وَهُوَ رَحّالَةٌ عَظيمٌ ورَجُلٌ لطيف. أَخْبَرَهُما مستر دانْس بِالقِصَّةِ كامِلَةً، وسَلَّمَهُما حُزْمَةَ الأَوْراقِ الّتي بَدَءا يَدْرُسانِها بِلَهْفَةٍ شَديدَةٍ. وتَعَجَّبَ مستر تريلوني قائِلًا:

« يا إلهي! إنّها خَريطَةٌ تُحَدِّدُ مَكانَ اخْتِفاءِ كَنْزِ فْلِنْت. لقد كان فْلِنْت أَكْثَرَ القَراصِنَةِ تَعَطُّشًا لِلدِّماءِ. ولقد سَطا على أَعْدادٍ لا حَصْرَ لها مِنَ السُّفُنِ الّتي تَحْمِلُ الكُنوزَ. وهذه الخَريطَةُ توضِحُ مَكانَ طَمْرِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ. »





بَسَطَ مستر تريلوني الأَوْراقَ على الطّاوِلَةِ كي يَراها الجَميعُ ، وكانَ من بَيْنِها خَريطَةٌ مُفَصَّلَةٌ لِجَزيرَةِ الكَنْزِ ، بِمَوْقِعِها الدَّقيقِ وأَعْماقِ البَحْرِ من حَوْلِها والتِّلالِ والأَنْهارِ والخِلْجانِ المَوْجودَةِ عليها . لقد كانَتِ الجَزيرَةُ تَمْتَدُّ تِسْعَةَ أَمْيالٍ طولًا وخَمْسَةَ أَمْيالٍ عَرْضًا ، وبِها مَرْفَآنِ جَميلانِ طَبيعِيّانِ ، ويَتَوَسَّطُها مُرْتَفَعٌ يُسَمّى تَلَّ الزُّجاجِ ، وعلى الخَريطَةِ إِشاراتٌ باللَّوْنِ الأَحْمَرِ تُحَدِّدُ مَوْضِعَ الكَنْزِ .

فَجْأَةً ضَرَبَ مستر تريلوني الطَّاوِلَةَ في حَماسَةٍ وقالَ:

«الآنَ يُمْكِنُنا أنْ نَجِدَ الكَنْزَ ونَسْتَخْرِجَهُ! بِحَقِّ السَّماءِ، سَوْفَ أَسْتَأْجِرُ سَفينَةً ثُمَّ نُبْحِرُ سَوِيًّا - أَنْتَ يا دُكْتورُ وأنا ومعنا الصَّغيرُ هوكنز - إلى جَزيرَةِ الكَنْزِ، وسَوْفَ يَصْحَبُنا ثَلاثَةٌ من رِجالي. ما رَأْيُكُم يا سادَةُ؟»

أَجابَ الدُّكْتورُ مُمْسِكًا بِيَدِهِ بِحَماسَةٍ قائِلًا:

«إِنَّني معكَ، وأنا على يَقينٍ من أنَّ هوكنز الصَّغيرَ سَوْفَ يُثْبِتُ أنَّهُ مُساعِدُ سَفينَةٍ مُمْتازٌ. لكنَّ هُناكَ أَمْرًا حَيَوِيًّا وَهُوَ أنَّهُ مَحْظورٌ على أيٍّ منّا أنْ يَنْبِس بِبِنْتِ شَفَةٍ حَوْلَ خُطَطِنا، إذ يَجِبُ أنْ نَتَذَكَّرَ جَميعًا أنَّ هُناكَ عِصابَةً شَرِسَةً تَسْعى وَراءَ الخَريطَةِ. لذا صارَ لِزامًا علينا ألّا نَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ.»

أَوْمَأَ مستر تريلوني بِرَأْسِهِ مُوافِقًا، ومع ذلِكَ فَالدُّكْتورُ كان يَعْلَمُ جَيِّدًا أنَّ مستر تريلوني قد تَعَوَّدَ أنْ يُفْشِيَ أَسْرارَ أُمورٍ كان يَجِبُ أنْ تَظَلَّ في طَيِّ الكِتْمانِ. وكان يَخْشى كثيرًا ما يُمْكِنُ أنْ يَنْجُمَ مُسْتَقْبَلًا عن حَماقَةِ مستر تريلوني وطَيْشِهِ من نَتائِجَ خَطيرَةٍ.

ومن بابِ احْتِياطاتِ الأَمْنِ بَقِيَ جيم في بَيْتِ مستر تريلوني لِمُدَّةِ أُسْبوعٍ، بَعْدَهُ وَصَلَتْ رِسالَةٌ من مستر تريلوني الّذي كان في مَدينَةِ برستول بأنَّهُ قَدِ اشْتَرى سَفينَةً ضَخْمَةً تُسَمَّى هسبانْيولا، وأَضافَ أنَّهُ قد وَجَدَ بَعْضَ الصُّعوباتِ في التَّعاقُدِ مع مَلّاحينَ لِلْإِبْحارِ بِالسَّفينَةِ، حَتّى صادَفَهُ أخيرًا حُسْنُ الحَظِّ فالْتَقى بِبَحّارٍ قَديمٍ أَبْدى اسْتِعْدادَهُ لِلْمُعاوَنَةِ. كان ذلك البَحّارُ، واسْمُهُ لونْج جون سيلْڤر، ذا ساقٍ واحِدَةٍ، وقد عَمِلَ طَبّاخًا على إحْدى السُّفُنِ. ثُمَّ إنّه كان ذا شَخْصِيَّةٍ مَرِحَةٍ وَدودَةٍ لَيْسَ لها نَظيرٌ. وفي أَقَلِّ وَقْتٍ مُمْكِنٍ اسْتَطاعَ هذا الشَّخْصُ الجَذّابُ أنْ يَجْمَعَ عَدَدًا لا بَأْسَ به مِنَ المَلّاحينَ الشُّجْعانِ ذَوِي الخِبْرَةِ الّذين كانوا مُتَلَهِّفينَ على الإِبْحارِ مِنْ أَجْلِ مُغامَرَةٍ مُثيرَةٍ لَمَّحَ لهم بها مستر تريلوني. وأَخيرًا طَلَبَ مستر تريلوني مِنَ الدُّكْتورِ والآخَرينَ أنْ يَلْحَقوا به في برستول خِلالَ يَوْمَيْنِ.

في وَقْتٍ لاحِقٍ من ذلكَ الأُسْبوعِ ، ومن حَيْثُ يَنْزِلُ في برستول أَعْطى مستر تريلوني رِسالَةً موجَزَةً إلى جيم لِتَوْصيلِها إلى جون سيلڤر . فَرِحَ جيم بِالمهمَّةِ مُسْتَمْتِعًا بِما شاهَدَهُ من حُشودِ النّاسِ في الميناءِ وأَنْشِطَتِهِم المُخْتَلِفَةِ . وَصَلَ أَخيرًا إلى الخانِ الّذي يُقيمُ فيه جون سيلڤر . وما إنْ دَخَلَ إلى الحُجْرَةِ الأَمامِيَّةِ الكَبيرَةِ المُمْتَلِئَةِ بِالبَحّارَةِ وبِدُخانِ التَّبْغِ الكَثيفِ ، حتّى لَفَتَ نَظَرَهُ رَجُلٌ ذو هَيْبَةٍ يَدْخُلُ من غُرْفَةٍ جانِبِيَّةٍ . ولم يَشُكَّ جيم في أنّ ذلكَ الرَّجُلَ هو جون سيلڤر . لقد كان فارِعَ الطّولِ ، ذا وَجْهٍ طالَما لَفَحَهُ الجَوُّ . وكانت ساقُهُ اليُسْرى مَبْتورَةً من فَوْقِ رُكْبَتِهِ ، وتَحْتَ ذِراعِهِ اليُسْرى كان هُناكَ عكّازٌ يُعينُهُ على أنْ يَقْفِزَ هُنا وهُناكَ بِخِفَّةِ الطّائِرِ وهُوَ يَمْزَحُ ويَمْرَحُ مع كُلِّ الجالِسينَ حَوْلَهُ . كان هذا الرَّجُلُ هو لونج جون بِعَيْنِهِ ذا الشَّخْصِيَّةِ الجَذّابَةِ الّتي اسْتَطاعَ جيم لأَوَّلِ وَهْلَةٍ أنْ يَلْمُسَها فيه . ولكنّ فِكْرَةً مُزْعِجَةً طَرَأَتْ على بالِهِ فَجْأَةً : أَيُمْكِنُ أنْ يكونَ هذا هو الرَّجُلَ ذا السّاقِ الواحِدَةِ الّذي سَبَقَ أنْ حَذَّرَه منه كابتن بونز ؟ إنّهُ لَيْسَ ذلكَ الرَّجُلَ بِالتَّأْكيدِ ، فقد كان سيلڤر بَعيدًا عن عُنْفِ أيٍّ من أَفْرادِ العِصابَةِ الّذين حَطَّموا حانَةَ بِنْبو . اقْتَرَبَ جيم من لونج جون بِشَيْءٍ من الخَوْفِ وسَأَلَهُ :



« هَلْ أَنْتَ مستر سيلڤر يا سَيِّدي ؟ »

« أَجَلْ ، أيُّها الصَّبِيُّ . »

« إنّ معي رِسالَةً لكَ يا سَيِّدي ، إنّها رِسالَةٌ موجَزَةٌ . »

ما إنْ قَرَأَها سيلڤر حتّى بادَرَهُ بِقَوْلِهِ : « آه ! إذًا فَأَنْتَ مُساعِدُ السَّفينَةِ الجَديدُ ، تَسُرُّني رُؤْيَتُكَ أيُّها الشّابُّ . » وفي هذه اللَّحْظَةِ انْدَفَعَ نَحْوَ البابِ بَحّارٌ زَرِيُّ الهَيْئَةِ ، مُمْتَقِعُ الوَجْهِ . وهُنا أَيْقَنَ جيم أنّ هذا الرَّجُلَ هو بْلاك دُج .



فَصاحَ قائِلًا: «أَوْقِفْهُ! إِنَّهُ بْلاكْ دُج.»

رَدَّدَ سيلڤر مُتَسائِلًا: «بلاك دُج؟»

«أَجَلْ، إِنَّهُ أَحَدُ أَفْرادِ العِصابَةِ الَّذين حَطَّموا مَقْهانا. لقد رَأَيْتُهُ هُناكَ.»

تَساءَلَ سيلڤر مُتَعَجِّبًا في غَضَبٍ: «ماذا؟ أَيُمْكِنُ أَنْ يَكونَ وَغْدٌ كَهذا في خاني؟ أَجَلْ، لقد شاهَدْتُهُ مُؤَخَّرًا بِصُحْبَةِ رَجُلٍ أَعْمى.»

هُنا قالَ جيم: «نَعَمْ، ذلِكَ كان پيو العَجوزَ.»

فَعَقَّبَ سيلڤر قائِلًا: «وما الَّذي سَيَظُنُّهُ مستر تريلوني حين يَعْلَمُ أَنَّني أُقَدِّمُ الطَّعامَ في خاني لِأَوْغادٍ من أَمْثالِ بْلاكْ دُج وپيو؟»

أَحَسَّ جيم بِالأَسى من أَجْلِ لونج جون، فَلقد كان واضِحًا أَنَّ ما حَدَثَ قد ضايَقَهُ كَثيرًا، ومع ذلِكَ فقد أَخَذَ يَتَجاذَبُ أَطْرافَ الحَديثِ مع جيم بِطَريقَةٍ وُدِّيَّةٍ لِلْغايَةِ وهما في طَريقِهِما إلى مَسْكَنِ مستر تريلوني. لم يَكُنْ لَدى جيم أَدْنى شَكٍّ في أَنَّ سيلڤر كان من أَحْسَنِ النّاسِ، وحينَما لَقِيا مستر تريلوني نَقَلَ إليه سيلڤر بِكُلِّ أَمانَةٍ ما كان من أَمْرِ بْلاكْ دُج، وعَقَّبَ على أَثَرِها مستر تريلوني قائِلًا:

«لا بَأْسَ، لقد بَذَلْتَ ما في وُسْعِكَ. والآنَ يَجِبُ أَنْ نَكونَ جَميعًا على ظَهْرِ السَّفينَةِ في الرّابِعَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ.»

أَجابَ سيلڤر بِانْشِراحٍ: «أَجَلْ، أَجَلْ يا سَيِّدي، سَيَكونُ كُلُّ شَيْءٍ مُرَتَّبًا وجاهِزًا، وسَوْفَ أَكونُ هُناكَ يا سَيِّدي.»

وما إِنْ حَلَّتِ السّاعَةُ الرّابِعَةُ حَتّى كانوا جَميعًا على ظَهْرِ السَّفينَةِ هسبانيولا الَّتي كانت راسِيَةً في الخَليجِ. ولِأَوَّلِ مَرَّةٍ يَلْتَقي جيم بِالمستر أرو الضّابِطِ الأَوَّلِ، وكَذلِكَ بِالكابْتِنِ سمولت الَّذي كان في نَظَرِ جيم شَخْصِيَّةً بَغيضَةً. وكان هذا الكابْتِنُ مُتَلَهِّفًا لِلتَّحَدُّثِ مع مستر تريلوني الَّذي سَأَلَهُ: «هَلْ كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ أَيُّها الكابْتِنُ؟»

أَجابَ الكابْتِنُ قائِلًا: «يا سَيِّدي، إِنَّني أَوَدُّ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِليكَ بِصَراحَةٍ ووُضوحٍ. إِنّي لا أَميلُ إلى طاقَمِ البَحّارَةِ الَّذين تَعاقَدْتَ معهُمْ، ولا إلى الضّابِطِ





الأَوَّلِ. ويَبْدو أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ عَنِ الرِّحْلَةِ أَكْثَرَ مِمّا أَعْرِفُ. لقد كان هُناكَ مَنْ يَتمادى في الحَديثِ عن مهمَّتِنا.»

هُنا سَأَلَ مستر تريلوني بحَماسَةٍ: «وماذا في ذلِكَ؟»

أَجابَ الكابْتِنُ مُكْمِلًا حَديثَهُ: «إنَّكُمْ تُخاطِرونَ مُخاطَرَةً كُبْرى يا سَيِّدي، إذ رُبَّما يُؤَدِّي ذلِكَ إلى تَمَرُّدٍ وإلى قِتالٍ بَيْنَنا وبَيْنَهُم.»

وسَأَلَ مستر تريلوني بانْزِعاجٍ: «أَصَحيحٌ هذا؟ وهَلْ هُناكَ أَخْطاءٌ أُخْرى؟»

«أَجَلْ يا سَيِّدي. إنَّ الرِّجالَ يَخْزِنونَ الأَسْلِحَةَ والبارودَ بالقُرْبِ من مأْواهُم عِنْدَ مُقَدِّمَةِ السَّفينَةِ حَيْثُ وُضِعَ أَيْضًا رِجالُكَ الأَرْبَعَةُ. يَنْبَغي أَنْ يَكونَ رِجالُكَ والأَسْلِحَةُ بِالقُرْبِ مِنّا.»

وهُنا سَأَلَ مستر تريلوني غاضِبًا: «أَهذا كُلُّ شَيْءٍ؟»

أَجابَ كابتن سمولت: «لا يا سَيِّدي، إنَّ الرِّجالَ يَعْرِفونَ أَنَّ بِحَوْزَتِكَ خَريطَةً عليها عَلاماتٌ حَمْراءُ تُبَيِّنُ على وَجْهِ التَّحْديدِ المَكانَ الّذي أَخْفى فيه فْلِنْت كَنْزَهُ. أَجَلْ، بَعْضُهُم كان يَتَحَدَّثُ بِذلِكَ، فَخُذْ حَذَرَكَ يا سَيِّدي لَيْسَ إلّا، وواجِبي يُحَتِّمُ عَلَيَّ أَنْ أَقولَ ذلِكَ.»



عِنْدَما غادَرَ كابتن سمولت المَكانَ ابْتَسَمَ الدُّكْتورُ ليفزي وقالَ: «إنَّ معنا على ظَهْرِ السَّفينَةِ رَجُلَيْنِ صادِقَيْنِ – كابتن سمولت ولونج جون سيلفر!»

عَقَّبَ مستر تريلوني قائِلًا: «أنا معك فيما تَقولُ عن سيلفر، أَمّا عن كابتن سمولت فَلَسْتُ واثِقًا من أَنَّهُ كَذلِكَ.»

أَعْقَبَ ذلِكَ صُعودُ لونج جون وبَقِيَّةِ البَحّارَةِ إلى ظَهْرِ السَّفينَةِ، وكان سيلفر يَتَحَرَّكُ بِرَشاقَةِ القِرْدَةِ، وتَساءَلَ مُتَعَجِّبًا: «ما الّذي يَحْدُثُ هُنا؟»

ذلِكَ عِنْدَما رَأى البارودَ والأَسْلِحَةَ تُنْقَلُ إلى مَكانِ الكابْتِنِ في السَّفينَةِ. وقاطَعَهُ الكابْتِنُ سمولت بِحِدَّةٍ: «هذه أَوامِري.» فَهَزَّ سيلفر كَتِفَيْهِ وانْطَلَقَ إلى مَطْبَخِ السَّفينَةِ. في الحالِ صاحَ كابتن سمولت مُخاطِبًا هوكنز الصَّغيرَ: «هَيّا انْزِلْ إلى المَطْبَخِ لِتُساعِدَ سيلفر.» وكما كان يَشْعُرُ مستر تريلوني كان جيم يَشْعُرُ أَيْضًا بِنَوْعٍ مِنَ الكَراهِيَةِ نَحْوَ الكابْتِنِ البَغيضِ.

عَقِبَ فَجْرِ اليَوْمِ التّالي أَبْحَرَتِ السَّفينَةُ هسبانيولا . كان سيلڤر مَرِحًا أَكْثَرَ من أيِّ وَقْتٍ آخَرَ ، واسْتَجابَ لِرَغْبَةِ زُمَلائِهِ وبَدَأَ يَتَرَنَّمُ بِالأُغْنِيَةِ الّتي كان جيم يَعْرِفُها جَيِّدًا :

« خَمْسَةَ عَشَرَ مِنَ الرِّجالِ وَقَفوا فَوْقَ صُنْدوقِ الرَّجُلِ المَيْتِ يوهوهو ... »

لكنْ سُرعانَ ما بَدَأَتِ المَتاعِبُ . فقد أَثْبَتَ مستر أرو الضّابِطُ الأَوَّلُ أَنَّهُ لا جَدْوى منه ، فلم يَكُنْ يُمارِسُ أيَّ سُلْطَةٍ ، وكان لا يُرى إلّا نائمًا مُعْظَمَ أَوْقاتِ النَّهارِ . وذاتَ صَباحٍ وبِطَريقَةٍ مَأْساوِيَّةٍ اخْتَفى ولم يَظْهَرْ لهُ أَثَرٌ على ظَهْرِ السَّفينَةِ . ولا بُدَّ أَنَّهُ سَقَطَ من فَوْقِ سَطْحِ السَّفينَةِ وابْتَلَعَتْهُ المِياهُ .

في أَثْناءِ تِلْكَ الأَيّامِ الأولى ظَلَّ جيم قَريبًا من لونج جون أو « باربكيو » كما كان يَحْلو لِلْبَحّارَةِ أنْ يُسَمّوهُ . فلقد كان بالنِّسْبَةِ إلى جيم في مَقامِ العَمِّ العَطوفِ ، وكان يُسَرُّ لِوجودِهِ مُساعِدًا له في المَطْبَخِ الّذي كان دائِمًا نَظيفًا كَنَظافَةِ دَبّوسٍ جَديدٍ لم يُسْتَعْمَلْ . وهُناكَ في أَحَدِ أَرْكانِ المَطْبَخِ كانت بَبَّغاءُ سيلڤر الّتي كان يُطْلِقُ عليها اسْمَ « كابتن فْلِنْت » تَقْبَعُ في قَفَصِها . وخاطَبَ لونج جون مُساعِدَه جيم قائِلًا :

« هذه البَبَّغاءُ يا جيم قد سافَرَتْ عَبْرَ البِحارِ السَّبْعَةِ ، وكانت ذاتَ مَرَّةٍ مع كابتن إنجلند القُرْصانِ الشَّهيرِ . »

في هذه اللَّحْظَةِ تَدَخَّلَتِ البَبَّغاءُ ، كابتن فْلِنْت ، في الحَديثِ وَهِيَ تَزْعَقُ :
« قِطَعٌ من ثَمانِيَةٍ ! قِطَعٌ من ثَمانِيَةٍ ! اِقْتَرِبوا لِتَنْتَشِروا ! »

ولكنْ بِالإضافَةِ إلى ذلِكَ كانت تَنْطَلِقُ بِأَقْذَعِ أَنْواعِ السِّبابِ . وهكَذا اسْتَمَرَّتِ الرِّحْلَةُ . لقد كانت هسبانيولا سَفينَةً جَيِّدَةً ، وكان مَلّاحوها يَلْقَوْنَ مُعامَلَةً طَيِّبَةً من حَيْثُ التَّغْذِيَةُ الجَيِّدَةُ والعَمَلُ السَّهْلُ غَيْرُ المُضْني . كما كان لونج جون بِصَفاءِ نَفْسِهِ ومَرَحِهِ المُعْتادِ مُحَبَّبًا إلى الجميعِ . ولقد حَدَثَ ذاتَ مَساءٍ - عِنْدَ الغُروبِ تَقْريبًا - أنْ شَقَّ جيم طَريقَهُ وَسَطَ السَّفينَةِ إلى البِرْميلِ الكَبيرِ المَليءِ بِالتُّفّاحِ والّذي وُضِعَ في مُتَناوَلِ يَدِ المَلّاحينَ لِيَأْكُلوا منه كما يَشاؤونَ - ولِكَي يَصِلَ إلى التُّفّاحِ كان على جيم أنْ يَتَسَلَّقَ البِرْميلَ لِيَنْزِلَ داخِلَهُ . وهُناكَ وبِكُلِّ سَعادَةٍ جَلَسَ يَتَناوَلُ ما اسْتَطاعَ مِنَ التُّفّاحِ ، ولا بُدَّ أنَّ النُّعاسَ قد أَصابَهُ ، وسُرعانَ ما راحَ في سُباتٍ عَميقٍ . وعِنْدَما حَلَّ





الظلامُ استَيْقظَ على هَمْهمَةِ أصواتٍ حَوْلَهُ تَبيَّنَ منها صَوْتَ سيلڤر وَهُو يَتحدَّثُ بِهُدوءٍ لِمَجْموعَةٍ قَليلَةٍ مِنَ الرِّجالِ استَطاعَ أنْ يُميِّزَ من بَيْنِهِمْ صَوْتَ إسْرا هاندز مُوجِّهِ دَفَّةِ السَّفينَةِ . كان سيلڤر يُخاطِبُهُم قائِلًا :

« إليكُمْ خُطَّتي : سَوْفَ نُجاري كابتن سمولت والآخرينَ حتّى نَحْصُلَ على الكَنْزِ ، ونَحْمِلَهُ على مَتْنِ السَّفينَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ سأَتَخلَّصُ منهُمْ إمّا بتَرْكِهِم على الجَزيرَةِ أو بِذَبْحِهِم كما تُذْبَحُ الأنْعامُ . وعِنْدَما أعودُ إلى إنجلترا لا أُريدُ – وأنا في عَرَبَتي – أنْ أرى وَجْهَ أحَدِ هؤلاءِ السّادَةِ على غَيْرِ تَوَقُّعٍ . »



صاحَ إسرا هاندز بِحَماسٍ : « جون ، نَحْنُ كُلُّنا مَعَكَ إلى النِّهايَةِ . » كان جيم في رُعْبِهِ مُنْكمِشًا داخِلَ البرْميلِ ، وقد أصابَتْهُ صَدْمَةٌ وخَوْفٌ شَديدانِ ، وفجأةً سَمِعَ صَيْحَةَ أَحَدِهِمْ : « وَصَلْنا الشّاطِئَ . »

ما إنِ انْدَفعَ كُلُّ مَلّاحي السَّفينَةِ إلى الحاجِزِ ، حتّى انْدفعَ جيم هارِبًا مِنَ البرْميلِ دونَ أنْ يَراهُ أحَدٌ . وكان مِنَ السَّهْلِ على الجَميعِ أنْ يَرَوا الشّاطِئَ الأماميَّ لِلجَزيرةِ وكَذلِكَ الخُلْجانَ والتِّلالَ المُرْتَفِعَةَ . وبالنِّسْبَةِ لِجيم كان ذلِكَ المَنْظَرُ رومانْسيًّا مُثيرًا . أمّا كابتن سمولت فقد نادى المَلّاحينَ جَميعًا وسأَلَهُمْ عمّا إذا كانوا قد رَأَوا الجَزيرَةَ من قَبْلُ .

أجابَ سيلڤر : « أنا رَأَيْتُها من قَبْلُ يا سَيِّدي ، وكُنْتُ وَقْتَها مع تاجِرٍ حَطَّ رِحالَهُ هُنا بَحْثًا عَنِ الماءِ . إنَّ أفْضَلَ مَكانٍ لِرَسْوِ السَّفينَةِ هو الخَليجِ الجَنوبيِّ بَعيدًا عَنِ الهَيْكَلِ الرَّئيسيِّ لِلْجَزيرَةِ . »

هُنا ناداهُ كابتن سمولت إلى مَنَصَّةِ الرُّبّانِ ليختارَ بَعْضَ الأماكِنِ على الخَريطَةِ ، ولَمْ تَكُنْ تِلْكَ هي الخَريطَةَ ذاتَ العَلاماتِ الحَمْراءِ . وأَخْفى سيلڤر بِدَهاءٍ ما شَعَرَ به من خَيْبَةِ أَمَلٍ . كان جيم في غايَةِ الدَّهْشَةِ من رَباطَةِ الجَأْشِ الّتي أبْداها سيلڤر في أثْناءِ حَديثِهِ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ عَنِ الجَزيرَةِ . يا لَهُ من رَجُلٍ مُنافِقٍ ! وأَيْقَنَ جيم أنَّ فُرَصَ



النّجاةِ أمامَهُ ستكونُ ضعيفةً إذا ما ارْتابَ سيلفر لِلَحْظَةٍ أنّهُ اسْتَرقَ السَّمْعَ لِحَديثِهِ عِنْدَ بِرْميلِ التُّفّاحِ. من أجْلِ هذا كادَ يَقْفِزُ مِنَ الرُّعْبِ عِنْدما تَحدّثَ إليهِ سيلفر بِلَهْجَةٍ مَرِحةٍ قائِلًا: «سَوْفَ تَهْوى هذا المَكانَ يا جيم.»

ثُمَّ رَبَّتَ على كَتِفِهِ في رِقَّةٍ مُتناهِيَةٍ ونزلَ إلى أسْفَلِ السَّفينةِ. لقد كانت خِيانةُ سيلفر الّتي لا يُصدِّقُها عَقْلٌ وكَذلِكَ أكاذيبُهُ سَبَبًا في أنْ يُصابَ جيم بِصَدْمَةٍ وذُهولٍ. من أجْلِ ذلِكَ أسْرَعَ إلى مِنَصَّةِ الرُّبّانِ وأَخْبَرَ كابتن سمولت ومستر تريلوني بما سَمِعَ. أنْصتَ إليهِ الاثْنانِ بِخَوْفٍ وقَلَقٍ.

فَكَّرَ الكابْتِنُ لِلَحْظَةٍ ثُمَّ قالَ: «أوّلًا، لا يُمْكِنُنا أنْ نَعودَ أدْراجَنا لأنّ ذلكَ سَيَدْفَعُهُمْ إلى الثَّوْرةِ ضِدَّنا في الحالِ. وثانِيًا نحن الآنَ في أمانٍ حتّى نَعْثُرَ على الكَنْزِ، لأنّهُمْ لن يَسْتَطيعوا عَمَلَ أيِّ شَيْءٍ بدونِنا. وثالِثًا هُناكَ قَليلٌ مِنَ الرِّجالِ المُخْلِصينَ يَقِفونَ بِجانِبِنا: إنّنا سَبْعَةُ رِجالٍ بما فينا جيم، بَيْنَما يَصِلُ عَدَدُهُم إلى سَبْعَةَ عَشَرَ. فعلينا إذًا أنْ نَعْمَلَ بِحِرْصٍ كما لو كُنّا نَجْهَلُ ما يُخَطِّطونَ لهُ، وسَوْفَ نَعْتَمِدُ على جيم في تَزْويدِنا بِكُلِّ ما نَحْتاجُ إلى مَعْرِفَتِهِ.»

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي بَدَت الجَزيرةُ أقَلَّ جاذِبيّةً، وعَلَتْ أمْواجُ البَحْرِ لِدَرَجةٍ جَعَلَتْ جيم يَشْعُرُ بالدُّوارِ. لكنْ كان هُناكَ ما يَنْبَغي عَمَلُهُ: إيجادُ مَرْسًى لِلسَّفينةِ، وتَفْريغُ حُمولةِ مَخازِنِها. وقَرَّرَ كابتن سمولت ومستر تريلوني أنْ يُمْنَحَ الجَميعُ فَتْرةً مِنَ الرّاحَةِ على الشّاطِئِ بَعْدَ الظُّهْرِ، على أنْ يُطْلَقَ مِدْفَعٌ عِنْدَ الغُروبِ لاسْتِدْعائِهِمْ إلى السَّفينةِ.

وبِحِذْقٍ وذَكاءٍ تَرَكَ كابتن سمولت لِسيلفر مهمّةَ إعْدادِ جَميعِ التَّرْتيباتِ، فَكانَ أنْ بَقِيَ سِتَّةُ مَلّاحينَ على ظَهْرِ السَّفينةِ، في حينَ أخَذَ الآخَرونَ قارِبًا وجَدَّفوا إلى الشّاطِئِ. وبَيْنَما كانَ الذّاهِبونَ إلى الشّاطِئِ يُعِدّونَ أنْفُسَهُم قَبْلَ النُّزولِ إلى القارِبِ، خَطَرَتْ لِجيم فِكْرَةٌ جُنونِيّةٌ وهِيَ أنْ يَنْدَسَّ في وَسَطِهِم. وهكَذا وبِدونِ أنْ يَراهُ أحَدٌ انْسَلَّ من فَوْقِ جانِبِ القارِبِ وأخْفى نَفْسَهُ وَسَطَ الحِبالِ والشِّراعِ عِنْدَ المُقَدِّمَةِ، وما إنْ حَطَّ القارِبُ على الشّاطِئِ حَتّى انْسَلَّ مَرَّةً أُخْرى بَعيدًا لِيَسْتَكْشِفَ الجَزيرةَ بِطَريقَتِهِ الخاصَّةِ.



عِنْدما غادَرَ سيلڤر وجَماعتُهُ السَّفينةَ ، دَعا كابتن سمولت إلى عَقْدِ اجْتِماعٍ . لم يَكُنْ هُناكَ سِوى سِتَّةٍ مِنَ المَلّاحينَ على ظَهْرِ السَّفينةِ ، ولِذا كانَ مِنَ اليَسيرِ على الكابْتِنِ أنْ يُفاجِئَهُم بِالقَبْضِ عليهِم وحَبْسِهِم . وحالَما تَمَّ ذلكَ جاءَ هنتر – وَهُوَ أحَدُ رِجالِ مستر تريلوني المُخْلِصينَ – بِنَبَإِ نُزولِ جيم على الشّاطِئِ مَعَ الّذين نَزلوا هُناكَ . انْتابَ الكابْتِنَ حُزْنٌ شَديدٌ لأنّهُ كانَ يَظُنُّ أنَّ جيم قد ألْقى بِنَفْسِهِ بَيْنَ بَراثِنِ العَدُوِّ ، حَيْثُ إنَّ القَراصِنَةَ لا يَرْحَمونَ مَنْ يَظُنّونَ أنَّهُ عَدُوٌّ لهم . ولِكَي يَتَبَيَّنَ الكابْتِنُ حَقيقَةَ الأمْرِ قَرَّرَ أنْ يَنْزِلَ دكتور ليڤزي وهنتر إلى الشّاطِئِ . وهكذا وبِمُنْتَهى الحِرْصِ أخَذا يُجَدِّفانِ في قارِبٍ صَغيرٍ حَتّى وَصَلا إلى نُقْطَةٍ على الشّاطِئِ تَبْعُدُ كثيرًا عن مَكانِ القَوارِبِ الأُخْرى . هُناكَ نَزَلا وتَحَرَّكا إلى داخِلِ الجَزيرَةِ ، ومع كُلٍّ منهما مُسَدَّسُهُ المَحْشُوُّ . وسُرْعانَ ما وَصَلا إلى حاجِزٍ مِنَ القُضْبانِ فَوْقَ هَضْبَةٍ صَغيرَةٍ لم يَكونا يَعْرِفانِ عنه شَيْئًا حَتّى ذلِكَ الوَقْتِ سِوى أنَّهُ عَلامَةٌ على الخَريطَةِ . كانَ هذا الحاجِزُ سورًا خَشَبِيًّا مَتينًا يَصِلُ ارْتِفاعُهُ إلى سِتَّةِ أقْدامٍ ، وكانَ يُحيطُ بِمِساحَةٍ كَبيرَةٍ أُقيمَ في وَسَطِها تَمامًا مَنْزِلٌ خَشَبِيٌّ مَتينٌ يَتَّسِعُ لأرْبَعينَ فَرْدًا . وكانَ في هذا المَنْزِلِ مِن جَوانِبِهِ المُخْتَلِفَةِ فُتُحاتٌ لإطْلاقِ النّارِ ، ولكِنْ أهَمُّ من ذلكَ بِكَثيرٍ أنَّهُ كانَ هُناكَ



يَنْبوعُ ماءٍ صافٍ يَتَدَفَّقُ عالِيًا لِعِدَّةِ ياردات . وكانت هذه أنْباءً طَيِّبَةً حَيْثُ إنَّ الماءَ على ظَهْرِ السَّفينَةِ هسبانيولا كانَ يَتَناقَصُ مِمّا يَجْعَلُ مَنْ فَوْقَها فَريسَةً سَهْلَةً لِلْقَراصِنَةِ حينَ يَنْزِلونَ إلى البَرِّ لِمَلْءِ خَزّاناتِهِم بِالمِياهِ . إذًا كانَ مِنَ المُسْتَحْسَنِ أنْ يَتِمَّ الاسْتيلاءُ على الحاجِزِ المُشارِ إليهِ آنِفًا واحْتِلالُ المَنْزِلِ الخَشَبِيِّ ، ثُمَّ مَلْؤُهُ بِالطَّعامِ والبَنادِقِ والبارودِ وغيرِ ذلكَ مِمّا يُمْكِنُ تَخْزينُهُ ، حَتّى يَسْتَطيعوا – إذا لَزِمَ الأمْرُ – مُحارَبَةَ القَراصِنَةِ من مَرْكَزِ قُوَّةٍ .



في تلك اللَّحظَةِ سَمِعا أنينًا كالّذي ينْبعِثُ من إنْسانٍ يُحْتضرُ . وعلى الفَوْرِ صاحَ الطَّبيبُ قائلًا :

« لقَد هَلِكَ جيم هوكنز . هَيّا بنا يا هنتر فلا يَجِبُ أنْ نُضَيِّعَ أيّةَ لَحْظَةٍ » .

وبهذا أسْرَعا إلى قارِبِهِما وعادا مُجدِّفَيْنِ إلى السَّفينَةِ هسبانيولا . وما إنِ انْتَهى الدُّكتورُ من تَقْريرِهِ حتّى وافَقَ الكابْتِنُ ومستر تريلوني على الخُطَّةِ المُقْتَرحَةِ . وفي الحالِ شَرَعوا في مَلْءِ القارِبِ بالذَّخيرَةِ ، ووَقَفَ توم ردروث مع أرْبعَةِ رِجالٍ مُسلَّحينَ بالبَنادِقِ لِلْحِراسَةِ ، بَيْنَما كان هنتر وجويس والدُّكْتورُ يقومونَ بِعَمَليَّةِ الشَّحْنِ . أمّا الكابْتِنُ ومستر تريلوني فقد كانا يَقومانِ بالمُراقَبَةِ من مِنَصَّةِ الرُّبّانِ . ثُمَّ نادى الكابْتِنُ على إسرا هاندز الّذي كان مَسْؤولًا عنِ المَلّاحينَ وحَذَّرهُ من أنَّ أيَّ واحِدٍ يَقومُ بِأيَّةِ حَرَكَةٍ سَوْفَ تُطْلَقُ عليه النّارُ في الحالِ . وكان هذا التَّحْذيرُ كافيًا لأنْ يَجْعَلَ المَلّاحينَ السِّتَّةَ يَقْبَعونَ في أماكِنِهِم بِغَيْرِ حَراكٍ مِمّا أتاحَ الفُرصَةَ لِجويس وهنتر والدُّكْتورِ كي يَصِلوا إلى البَرِّ في أمانٍ . وهُناكَ تُرِكَ جويس في البَيْتِ الخَشَبيِّ لِحِراسَةِ المَكانِ ومعه سِتُّ بَنادِقَ مَحْشُوَّةٍ ، بَيْنَما عادَ الدُّكْتورُ وهنتر أدْراجَهُما إلى السَّفينَةِ لِجَلْبِ مَزيدٍ منَ العَتادِ . ومَرَّةً أُخْرى جَدَّفا إلى الشّاطِئِ حَيْثُ حَمَلا ما جَلَباهُ من عَتادٍ إلى مَخْزَنِهِ في البَيْتِ الخَشَبيِّ لِتَقْوِيَةِ جويس في مَوْقِعِه ، وعادا بَعْدَها إلى السَّفينَةِ لِلْمَرَّةِ الأخيرَةِ . وسُرعانَ ما حُمِّلَ القارِبُ بالمَزيدِ منَ العَتادِ . وفي اللَّحْظَةِ التي كان الكابْتِنُ سمولت والآخَرونَ يتأهّبونَ لرُكوبِ القارِبِ هجر إبراهام جراي رِفاقَهُ البَحّارَةَ الآخَرينَ في اللَّحْظَةِ الأخيرَةِ وانْضَمَّ إلى جَماعَةِ الكابْتِنِ .



ما إنْ وَصَلوا إلى مُنْتَصَفِ الطَّريقِ إلى الجَزيرَةِ حَتّى رَأَوا إسرا هاندز والآخَرينَ الّذين تُرِكوا معه على ظَهْرِ السَّفينَةِ يَسْتَعِدّونَ لإطْلاقِ النّارِ من مِدْفَعٍ . وفي الحالِ رَفَعَ مستر تريلوني بُنْدُقِيَّتَهُ وأطْلَقَ عليهِمِ النّارَ فأصابَ واحِدًا منهُم ، إلّا أنَّ الآخَرينَ اسْتَطاعوا أنْ يُطْلِقوا ثَلاثَ طَلَقاتٍ كادَتِ الأخيرَةُ منها أنْ تُصيبَ القارِبَ . وإذْ كان رُكّابُ القارِبِ يُحاوِلونَ تَجَنُّبَ طَلَقاتِ المِدْفَعِ انْقَلَبَ بهم وامْتَلأَ بالماءِ وأخَذَ في الغَرَقِ . لكنْ لِحُسْنِ الحَظِّ كان القارِبُ قد وَصَلَ إلى المِياهِ الضَّحْلَةِ مِمّا يَسَّرَ على الجَماعَةِ الصَّغيرَةِ الّتي كانت تَسْتَقِلُّهُ الزَّحْفَ سَريعًا إلى الشّاطِئِ بِالرَّغْمِ من أنَّهُمْ فَقَدوا مُعْظَمَ ما كان في القارِبِ من طَعامٍ وبارودٍ وسِلاحٍ .

تَحَرَّكَ الكابْتِنْ بِسُرْعَةٍ وقادَ جَماعَتَهُ إلى الخَطِّ الدِّفاعِيِّ ، وذلِكَ لأنَّ رِجالَ سيلفَر ، بَعْدَ أنْ سَمِعوا ضَجيجَ الحَرَكَةِ الصّادِرَةِ من رِجالِ الكابْتِن ، هَرْوَلوا بِسُرْعَةٍ لِيَقْطَعوا عليهِم الطَّريقَ قَبْلَ أنْ يَصِلوا إلى حاجِزِ الدِّفاعِ . غَيْرَ أنّ الكابْتِنَ ورِفاقَهُ كانوا قد وَصَلوا إليه عِنْدَما ظَهَرَ سَبْعَةٌ مِنَ المُتَمَرِّدينَ بِالقُرْبِ مِنَ الزّاوِيَةِ البَعيدَةِ . وهُنا فَتَحَ جويس وهنتر عليهِم النّارَ من مَخْبَئِهِما في البَيْتِ الخَشَبِيِّ وتَبِعَهُما بَقِيَّةُ الرِّجالِ . وسَقَطَ أحَدُ رِجالِ العَدُوِّ بَيْنَما فَرَّ الباقونَ لِيَحْتَموا في الغاباتِ . لكِنْ عِنْدَما كان الكابْتِنُ ورِجالُهُ يَتَسَلَّقونَ الحاجِزَ انْطَلَقَتْ رَصاصَةٌ وأَصابَتْ ردروث المِسْكينَ في رَأْسِهِ وأَرْدَتْهُ قَتيلًا في الحالِ ، وتَمَّ دَفْنُهُ في وَقْتٍ لاحِقٍ ذلِكَ المَساءَ . ثُمَّ بَدَأَ الكابْتِنُ في عَمَلِيَّةِ تَنْظيمِ الدِّفاعِ عَنِ الحاجِزِ والبَيْتِ الخَشَبِيِّ .

ولَمّا رَفَعَ الطَّبيبُ العَلَمَ البَريطانِيَّ على شَجَرَةِ تَنُّوبٍ عالِيَةٍ ، جَذَبَ أَنْظارَ القائِمينَ على مِدْفَعِ السَّفينَةِ فَأَطْلَقوا عليه النّارَ . ولكِنْ لم تَحْدُثْ أيُّ خَسائِرَ مِنَ الطَّلَقاتِ السِّتِّ الّتي أُطْلِقَتْ . وفي ذلِكَ الوَقْتِ نَفْسِهِ تَطَوَّعَ جراي وهنتر لِلْقِيامِ بِالتَّسَلُّلِ إلى الشّاطِئِ لإنْقاذِ ما يُمْكِنُ إنْقاذُهُ مِنَ القارِبِ الغَريقِ ، ولكِنْ ساءَهُما أنْ يَجِدا القَراصِنَةَ قد سَطَوا بِالفِعْلِ على القارِبِ ، وكانوا يُفْرِغونَ حُمولَتَهُ مِنَ البَنادِقِ وبَراميلِ البارودِ مِمّا لم يُتْلَفْ كُلِّيًّا بِماءِ البَحْرِ ويَحْمِلونَهُ إلى قارِبِهِم الطَّويلِ . وكان سيلفَر في المُؤَخِّرَةِ ، وسُرعانَ ما تَحَرَّكَ القارِبُ الطَّويلُ بهم إلى هسبانيولا . كانت هذه شِبْهَ كارِثَةٍ ، فقد كان الكابْتِنُ يُدْرِكُ تَمامًا أنّ أَعْداءَهُم أَصْبَحوا الآنَ مُسَلَّحينَ تَسْليحًا جَيِّدًا .

في أَثْناءِ ذلِكَ كُلِّهِ كان جيم يَسْتَكْشِفُ شاطِئَ البَحْرِ ، وبَيْنَما كان يَتَجَوَّلُ في الغاباتِ طَرَقَتْ سَمْعَهُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ أَصْواتٌ كَثيرَةٌ ، فَأَخَذَ يَزْحَفُ وَسْطَ النَّباتاتِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ بِحَذَرٍ ، وهُناكَ في مِنْطَقَةٍ مَكْشوفَةٍ أَسْفَلَ منه شاهَدَ سيلفَر وَهُوَ واقِفٌ وَجْهًا لِوَجْهٍ مع توم ، وَهُوَ بَحّارٌ شابٌّ مُهَذَّبٌ . كان توم يَبْدو كَمَنْ يَدْفَعُ عن نَفْسِهِ تُهْمَةً ، وهو يُخاطِبُ سيلفَر قائِلًا :



«لا يَنْبَغي أنْ تُصَدِّقَ هذه الجماعَةَ مِنَ المَخْلوقاتِ، فَلو أنّني صِرْتُ خائِنًا...»

لم يُكْمِلْ لأنّهُ قوطِعَ بِصَوْتِ طَلَقاتٍ نارِيّةٍ صادِرَةٍ من بَعيدٍ، وتَبِعَتْها أنّةٌ أليمَةٌ، ثُمّ سادَ بَعْدَ ذلِكَ سُكونٌ عميقٌ.

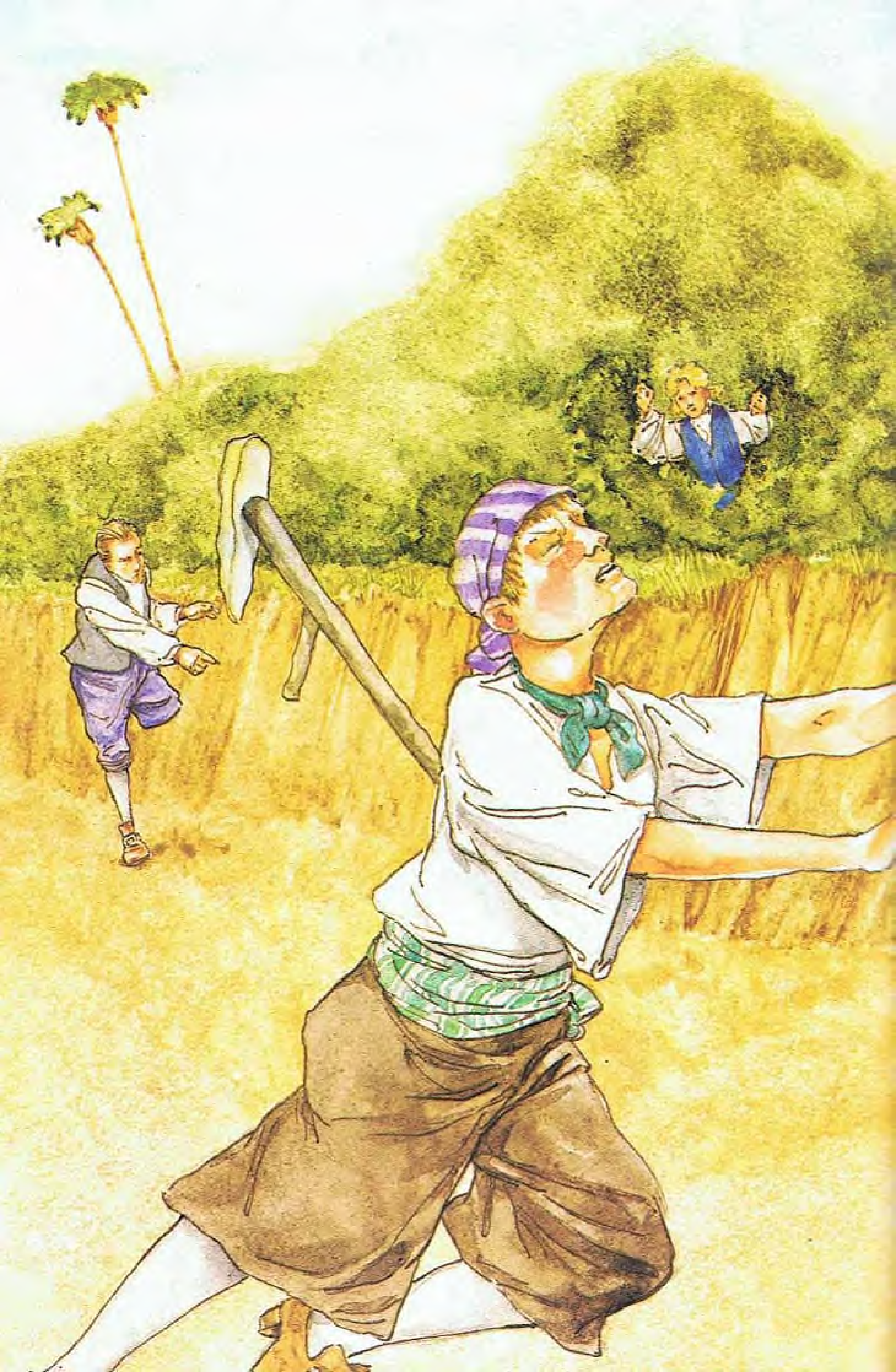
تَساءَلَ توم مُرْتَجِفًا وجاحِظَ العَيْنَيْنِ: «ما هذا؟»

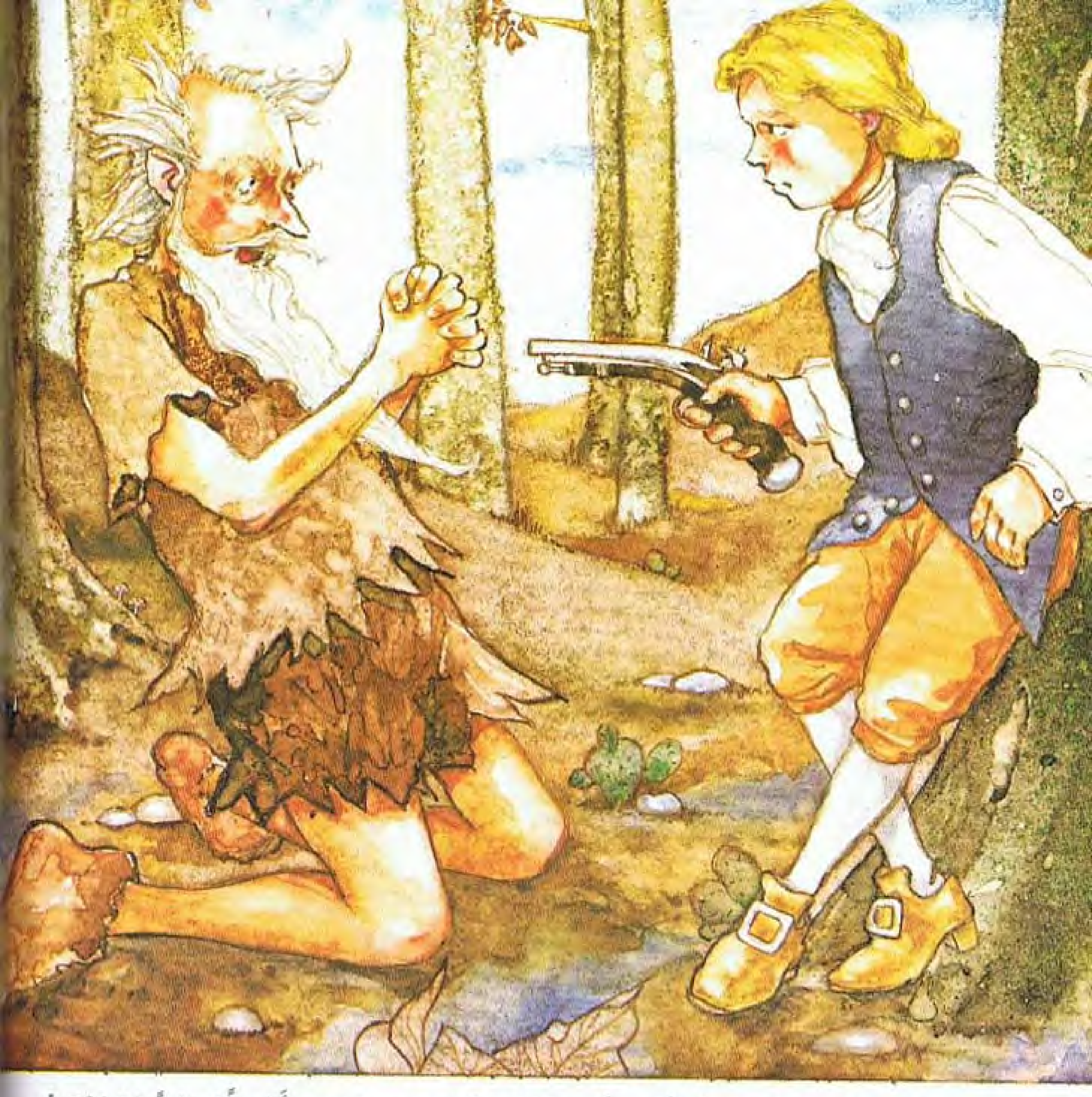
أجابَ سيلڤر وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسامَةً غريبةً: «لقد كان ذلِكَ صديقَكَ الوَفِيَّ ألان!» وهُنا صاحَ توم: «أيُّها الأوْغادُ! أيُّها القَتَلَةُ!» وأطْلَقَ لِساقَيْهِ العِنانَ نَحْوَ الشّاطِئِ. لكِنّهُ لم يَذْهَبْ بعيدًا لأنّ سيلڤر رَفَعَ عكّازَتَهُ وألْقاها بِكُلِّ قُوّةٍ نَحْوَ توم فأصابَتِ المِسْكينَ في وَسَطِ ظَهْرِهِ فأوْقَعَتْهُ أرْضًا. وبِسُرْعَةِ البَرْقِ أدْرَكَهُ سيلڤر الّذي ألْقى بِنَفْسِهِ فَوْقَهُ وطَعَنَهُ بِسِكّينِهِ طَعْنَتَيْنِ نافِذَتَيْنِ في القَلْبِ. ومن حَيْثُ كان جيم يَخْتَبِئُ رَأى كُلَّ هذا، وأحَسَّ بِضَعْفِ إنْسانٍ مَغْشِيٍّ عليه. لقد كان هُناكَ أمْرٌ مُؤَكّدٌ وَهُوَ أنّهُ لا يَسْتَطيعُ حينَئِذٍ أنْ يَعودَ إلى السّفينَةِ حَيْثُ يوجَدُ عليها سيلڤر ورِجالُهُ المُتَوَحِّشونَ. لقد قَتَلوا توم وألان وأيْقَنَ أنّهُ سَيَكونُ ضَحِيّتَهُمُ الثّالِثَةَ.

أثّرَ الإحْساسُ بِالخَوْفِ والقَلَقِ على جيم ودَفَعَهُ إلى أنْ يَتَحَسَّسَ طَريقَهُ زاحِفًا لِيَبْتَعِدَ عن مَسْرَحِ تِلْكَ الأحْداثِ. وبَعْدَ دَقائِقَ قَليلَةٍ تَجَمّدَ مِنَ الرُّعْبِ حينَ أحَسَّ بِشَيْءٍ ما يَتَحَرّكُ وَسْطَ النّباتاتِ السُّفْلِيّةِ. ها هُوَذا يُواجِهُ خَطَرًا جديدًا، ولكِنْ لِحُسْنِ الحَظِّ كان يَحْمِلُ في حِزامِهِ مُسَدّسًا مَحْشُوًّا. كان ذلِكَ الشّيْءُ يَتَحَرّكُ بِبُطْءٍ نَحْوَهُ، وسُرْعانَ ما تَبَيّنَ أنّهُ رَجُلٌ - كائِنٌ في غايَةِ الوَحْشِيّةِ - ولمّا دَنا منه جيم ألْقى الرّجُلُ بِنَفْسِهِ على رُكْبَتَيْهِ كما لو كان يَطْلُبُ الرّحْمَةَ. فَسَألَهُ جيم:

«مَنْ تَكونُ يا هذا؟»

أجابَ الرّجُلُ بِصَوْتٍ غَريبٍ: «بِنْ جِنْ، أنا المِسْكينُ الّذي لم يُخاطِبْ كائِنًا بَشَرِيًّا مُنْذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ».





لقد كان ذا لِحْيَةٍ طَويلَةٍ جِدًّا ، وكان يَضَعُ على جَسَدِهِ أَسْمالًا بالِيَةً لا يُمْكِنُ تَخَيُّلُ مَدى قَذارَتِها . وسَأَلَهُ جيم : « ثَلاث سَنَواتٍ ؟ هَلْ تَحَطَّمَتْ سَفينَةٌ كُنْتَ عليها ؟ »

أَجابَ الرَّجُلُ : « كَلّا ، لقد أُلْقِيَ بي هُنا على الشّاطِئِ المَهْجورِ ، وعِشْتُ لِمُدَّةِ ثَلاثِ سَنَواتٍ على لَحْمِ الماعِزِ ومَحارِ البَحْرِ . كم أنا مُشْتاقٌ إلى طَعامٍ حَقيقِيٍّ – بَعْضِ الجُبْنِ مَثَلًا ! »

لقد كان الرَّجُلُ يَبْدو غَريبًا جِدًّا ، لكنّه لم يَكُنْ مُؤْذِيًا على الإِطْلاقِ . سَأَلَ

الرَّجُلُ جيم: «هَلْ جِئْتَ هُنا على سَفينَةِ فلنْت ؟»

أجابَ جيم: «كَلّا، لقد ماتَ فلنْت، ولكنْ هُنا بَعْضٌ من رِجالِهِ.»

فَهَمَسَ الرَّجُلُ قائِلًا: «هَلْ من بَيْنِهِمْ رَجُلٌ بِساقٍ واحِدَةٍ ؟»

ردَّ جيم على الفَوْرِ: «جون سيلڤر ؟ أجَلْ، إنّهُ طَبّاخُ السَّفينَةِ.»

قالَ الرَّجُلُ: «إذًا فأنا الآنَ في عِدادِ المَوْتى. ولكنْ أيُّها الشّابُّ، هَلْ تأْخُذُني معكَ إلى الوَطَنِ لو ساعَدْتُكَ ؟»

أجابَ جيم: «بِكُلِّ تأْكيدٍ، فَسَيِّدي رَجُلٌ كَريمٌ.»

اسْتَرْسَلَ بِنْ جَنْ قائِلًا: «لقد كُنْتُ على سَفينَةِ فْلِنْت مع سيلڤر وبلي بونز عِنْدَما دَفَنَ فْلِنْت الكَنْزَ. إنّهُ هو الوَحيدُ الّذي يَعْرِفُ مَكانَ الكَنْزِ بالتَّحْديدِ، حَيْثُ إنّهُ قَتَلَ الرِّجالَ السِّتَّةَ الّذينَ عاوَنوهُ في دَفْنِ الكَنْزِ. ولقد عُدْتُ إلى هُنا على ظَهْرِ سَفينَةٍ أُخْرى بَعْدَ مُضِيِّ سَنَةٍ، ولكنْ عِنْدَما فَشِلْنا في العُثورِ على الكَنْزِ أنَّبوني وتَركوني هُنا ورَحَلوا.»

هُنا قالَ جيم: «لا بُدَّ أنْ أُخْطِرَ سَيِّدي بِذلِكَ. كَيْفَ أعودُ إلى السَّفينَةِ الآنَ ؟»

رَدَّ بن جن قائِلًا: «إنّ هذا الأمْرَ يَسيرٌ. إنّني أُخْفي قارِبًا صَغيرًا لي أسْفَلَ الصَّخْرَةِ البَيْضاءِ، وسَوْفَ آخُذُكَ إليه.»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَمِعا دَوِيًّا صادِرًا من مِدْفَعِ السَّفينَةِ عِنْدَما قامَ إسرا هاندز وبَقِيَّةُ رِجالِ سيلڤر المَوجودينَ على ظَهْرِ السَّفينَةِ بإطْلاقِ النّارِ على مستر تريلوني ورِجالِهِ وهُمْ يَشُقّونَ طَريقَهُم إلى حاجِزِ الدِّفاعِ عِنْدَ البَيْتِ الخَشَبِيِّ.

وبَيْنَما كان جيم وبن جن يَتَحَرَّكانِ بِحَذَرٍ وَسْطَ النَّباتاتِ السُّفْلِيَّةِ، بوغِتَ جيم حينَ لَمَحَ فَجْأَةً العَلَمَ البريطانِيَّ يُرَفْرِفُ فَوْقَ أعالي الأشْجارِ على مَرْمى البَصَرِ أمامَهُما. ولم يَقْتَنِعْ بن جن بِأنْ يَذْهَبَ مع جيم إلى حاجِزِ الدِّفاعِ، ومع ذلِكَ وَعَدَ بِأنّهُ سَيَراهُ في وَقْتٍ قَريبٍ. ثُمَّ هَرْوَلَ جيم إلى حاجِزِ الدِّفاعِ وَهُوَ يَصيحُ مُنَبِّهًا القَوْمَ في الدّاخِلِ. واعْتَرَتْهُ الدَّهْشَةُ حينَ وَجَدَ نَفْسَهُ مُنْضَمًّا مَرَّةً أُخْرى إلى أصْدِقائِهِ. وأحَسَّ مستر تريلوني بِالارْتِياحِ حينَ عادَ جيم سالِمًا، ولم يُوَجِّهْ إليه لَوْمًا.

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي اسْتَيْقَظَ جيم وَسْطَ كَثيرٍ مِنَ الإثارَةِ والدَّهْشَةِ، فقد كانَ سيلڤر خارِجَ حاجِزِ الدِّفاعِ يُلَوِّحُ بِعَلَمٍ أَبْيَضَ طالِبًا الهُدْنَةَ.

حَذَّرَ كابتن سمولت رِجالَهُ قائِلًا: «اُثْبُتوا في مَواقِعِكُم وتَرَقَّبوا الخِيانَةَ.» ثُمَّ صاحَ مُخاطِبًا سيلڤر: «ماذا تُريدُ؟»

وكانَ الجَوابُ: «إنَّ كابتن سيلڤر يَطْلُبُ أَنْ تَأْتوا إلى السَّفينَةِ لِوَضْعِ شُروطٍ.» فَرَدَّ كابتن سمولت بِغَضَبٍ: «إنّني لا أَعْرِفُ أَحَدًا بِاسْمِ كابتن سيلڤر.»

قالَ سيلڤر: «لقد انْتَخَبَني الرِّجالُ لِأَكونَ كابْتِنَ السَّفينَةِ بَعْدَ مُغادَرَتِكَ لها، ونحن مُسْتَعِدّونَ لِلاسْتِسْلامِ لو وافَقْتُم على شُروطٍ مُعَيَّنَةٍ.»

أَجابَ كابتن سمولت قائِلًا: «لَيْسَتْ هُناكَ شُروطٌ يا سيلڤر، ولكنّنا مُسْتَعِدّونَ لِلتَّحَدُّثِ معكُم.»

عِنْدَئِذٍ شَقَّ سيلڤر طَريقَهُ بِجَهْدٍ فَوْقَ المُنْحَدَرِ الرَّمْلِيِّ، واعْتَلى حاجِزَ الدِّفاعِ. وعِنْدَما لاحَظَ وُجودَ جيم صاحَ بِمَرَحٍ: «ها هُوَ ذا جيم! أَجْمَلُ صَباحٍ لكَ يا جيم.»

ثُمَّ بَدَأَ سيلڤر الحَديثَ قائِلًا: «أَيُّها السّادَةُ. إنّنا نَسْعى وَراءَ الكَنْزِ، وسَوْفَ نَحْصُلُ عليه. ولكنّنا أَوَّلًا نُريدُ الخَريطَةَ الّتي بِحَوْزَتِكُم.»

جَلَسَ بَعْدَ ذلِكَ بِمُنْتَهى رَباطَةِ الجَأْشِ، وأَشْعَلَ غَلْيونَهُ بِهُدوءٍ. وهُنا أَجابَ كابتن سمولت بِازْدِراءٍ: «إمّا أَنْ تَسْتَسْلِموا وتُؤْخَذوا إلى أَرْضِ الوَطَنِ لِتَنالوا مُحاكَمَةً عادِلَةً، أو تَنْتَهي حَياتُكُم هُنا.»

اِسْتَشاطَ سيلڤر غَضَبًا، وقامَ من مَقامِهِ فَجْأَةً. ثُمَّ تَسَلَّقَ الحاجِزَ وَهُوَ يَصيحُ:

«يا كابْتِنُ، سَوْفَ تَرى. سَأَهْدِمُ البَيْتَ الخَشَبِيَّ على رَأْسِكَ، وسَوْفَ يَكونُ مَحْظوظًا مَنْ يَموتُ سَريعًا.» ثُمَّ رَحَلَ بَعْدَ ذلِكَ.





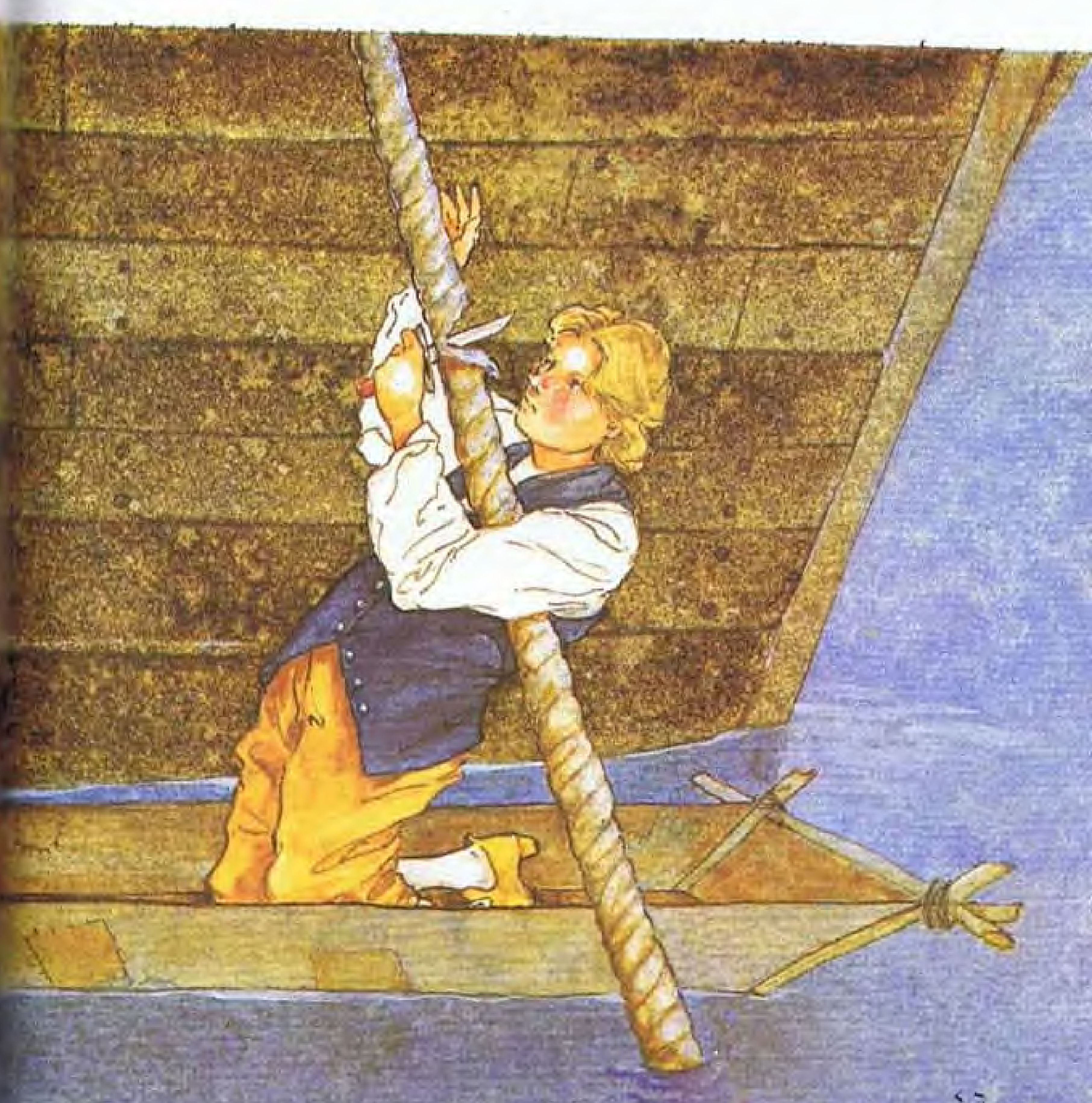
خاطَبَ كابتن سمولت رِجالَهُ قائِلًا: « أيُّها السّادَةُ، نحن نَعْلَمُ جيِّدًا أيْنَ هي مَواقِعُ أَقْدامِنا، وسَوْفَ نُحارِبُ من مَوْقِعٍ دِفاعِيٍّ رائِعٍ. والآنَ إلى أماكِنِكُم. »

رَفَعَ جويس بُنْدُقِيَّتَهُ فَجْأَةً وأَطْلَقَها، فقد كان هُناكَ مَنْ يَتَقَدَّمُ زاحِفًا من ناحِيَةِ الغابَةِ. وفي الحالِ انْهالَ علينا وابِلٌ من طَلَقاتِ البَنادِقِ من كُلِّ اتِّجاهٍ مُصيبًا البَيْتَ الخَشَبِيَّ، ولكنْ لم يُصَبْ أَحَدٌ مِنَ الرِّجالِ. ثُمَّ أَصْدَرَ القَراصِنَةُ صَيْحَةً تُجَمِّدُ الدَّمَ في العُروقِ وهَرْوَلوا تجاهَ الحاجِزِ الدِّفاعِيِّ، ثُمَّ انْدَفَعوا نَحْوَ البَيْتِ الخَشَبِيِّ. وفاجَأَ أَحَدُ القَراصِنَةِ سَيِّئُ الحَظِّ هَنْتر وحَطَّمَ جُمْجُمَتَهُ بِبُنْدُقِيَّةٍ.



نادى كابتن سمولت: « هَيّا اخْرُجوا أيُّها الرِّجالُ وقاتِلوهُم في العَراءِ. » وفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ وَجَدَ جيم نَفْسَهُ وَجْهًا لِوَجْهٍ مَعَ الشِّرِّيرِ أندرسون. رَفَعَ القُرصانُ سَيْفَهُ لِيَضْرِبَ جيم، ولكنَّ رَحْمَةَ اللهِ دَفَعَتْ جراي لأنْ يَصْرَعَ القُرصانَ بِضَرْبَةٍ واحِدَةٍ. وتَراجَعَ القَراصِنَةُ الآخَرونَ عَبْرَ الحاجِزِ الدِّفاعِيِّ وفَرّوا إلى الغابَةِ. وبِوُجوهٍ مُتَجَهِّمَةٍ أَخَذَ المُدافِعونَ يُحْصونَ خَسائِرَهُم نَتيجَةَ المَعْرَكَةِ. فَقَدَ العَدُوُّ خَمْسَةً من رِجالِهِ، وفَقَدَ المُدافِعونَ هنتر وجويس اللَّذَيْنِ أُصيبا في رَأْسَيْهِما. وجُرِحَ الكابتنُ سمولت، وبِالرَّغْمِ من ذلِكَ فقد أَصَرَّ على الاحْتِفاظِ بِمَرْكَزِ الكابْتِنِ. أمّا الأَعْداءُ فقد قَبَعوا بَعيدًا

يَلْعَقونَ جِراحَهُم. ثُمَّ – على غَيْرِ تَوَقُّعٍ – تَرَكَ دكتور ليڤزي حاجزَ الدِّفاعِ مُسَلَّحًا بِمُسَدَّساتٍ وحامِلًا معه الخَريطَةَ، وشَقَّ طريقَهُ نَحْوَ مَخْبَإِ بن جن. وبَيْنَما كان مستر تريلوني وجراي يُلازِمانِ الكابْتِن سمولت قَرَّرَ جيم بِطَيْشِهِ المَعْهودِ أنْ يَكْتَشِفَ نَوْعَ القارِبِ الّذي كان يُخْفيهِ بن جن بِالقُرْبِ مِنَ الصَّخْرَةِ البَيْضاءِ. أَخَذَ معه بَعْضَ الطَّعامِ ومُسَدَّسَيْنِ ثُمَّ أَسْرَعَ بِالتَّسَلُّلِ بَعيدًا، وخِلالَ عَشْرِ دَقائِقَ كان قد وَصَلَ إلى النُّتوءِ الصَّغيرِ البارِزِ مِنَ الجَبَلِ في شَرْقِ الجَزيرَةِ. ومن هُناكَ اسْتَطاعَ أنْ يَرى السَّفينَةَ هسبانيولا راسِيَةً على مَسافَةٍ مِنَ الجَزيرَةِ الصَّغيرَةِ. وعلى جانِبِ السَّفينَةِ كان يَرْسو



القارِبُ الطَّويلُ الّذي اتَّضَحَ أنَّ سيلڤر كان قد اسْتَقَلَّهُ إلى هسبانيولا. وكان سيلڤر وقَليلٌ مِنَ المُتَمَرِّدينَ معه يُحَمِّلونَ القارِبَ ويَسْتَعِدّونَ لِلْعَوْدَةِ إلى الشّاطِئِ مَرَّةً أُخْرى بَعْدَ أنْ تَرَكوا على ظَهْرِ السَّفينَةِ رَجُلَيْنِ لِحِراسَتِها.

وسُرْعانَ ما وَجَدَ جيم قارِبَ بن جن الصَّغيرَ، وَهُوَ شَيْءٌ مُهَلْهَلٌ تَمامًا قد صُنِعَ من خَشَبٍ وجِلْدٍ. لم يُلْقِ جيم بالًا لأيِّ مُخاطَرَةٍ حينَ قَرَّرَ أنْ يُجَدِّفَ بِهذا القارِبِ إلى هسبانيولا لِقَطْعِ حَبْلِ مَرْساتِها كي تَنْجَرِفَ إلى الشّاطِئِ. وكان جيم يَهْدِفُ من وَراءِ ذلكَ إلى مَنْعِ المُتَمَرِّدَيْنِ اللَّذَيْنِ كانا على ظَهْرِ السَّفينَةِ مِنَ الإبْحارِ بها بَعيدًا تارِكَيْنِ الآخَرينَ على الجَزيرَةِ بِلا حَوْلٍ ولا قُوَّةٍ.

كان مِنَ العَسيرِ على جيم أنْ يُسَيْطِرَ على قارِبِ بن جن بِخِفَّةِ وَزْنِهِ ورَداءَةِ حالَتِهِ، ولكنّه مع ذلكَ تَذَرَّعَ بالصَّبْرِ وبَذَلَ كَثيرًا مِنَ الجَهْدِ حَتّى وَصَلَ إلى حَبْلِ مَرْساةِ السَّفينَةِ هسبانيولا. وهُناكَ أَخْرَجَ سِكّينَهُ وبَدَأَ يَقْطَعُ الحَبْلَ. في أَثْناءِ ذلكَ سَمِعَ من فَوْقِهِ أَصْواتَ صِياحٍ وشِجارٍ صادِرَةً من كابينَةٍ على ظَهْرِ السَّفينَةِ، واسْتَطاعَ أنْ يُمَيِّزَ من بَيْنِها صَوْتَ إسرا هاندز. وفي لَحَظاتٍ قَليلَةٍ تَمَكَّنَ جيم من أنْ يَقْطَعَ آخِرَ جَديلَةٍ مِنَ الحَبْلِ، وما لَبِثَتِ السَّفينَةُ أنْ بَدَأَتْ تَتَأَرْجَحُ بِغَيْرِ قُيودٍ في نَسيمِ اللَّيْلِ. ثُمَّ أَخَذَتْ حَرَكَتُها تَزْدادُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِمّا اضْطُرَّ جيم أنْ يَرْفَعَ قَبْضَتَهُ عن الحَبْلِ فانْطَلَقَتِ السَّفينَةُ إلى عَرْضِ البَحْرِ تارِكَةً جيم يَتَأَرْجَحُ هو الآخَرُ بِخُطورَةٍ شَديدَةٍ في قارِبِهِ الهَشِّ الصَّغيرِ. كان مِنَ المُسْتَحيلِ أنْ يُجَدِّفَ عائِدًا إلى الشّاطِئِ بِسَبَبِ الرّيحِ والتَّيّارِ الشَّديدِ، ومن أَجْلِ هذا تَوَقَّفَ في مَكانِهِ بِالقارِبِ في انْتِظارِ ما يَجِدُّ من أَحْداثٍ. إلّا أنَّ اهْتِزازَ القارِبِ أَخَذَ يُهَدْهِدُ جيم فاسْتَسْلَمَ لِنَوْمٍ عَميقٍ.



عِنْدَما اسْتَيْقَظ كانتِ الشَّمْسُ في كَبِدِ السَّماءِ ، وكان تَحَرُّكُ القارِبِ في أَثْناءِ اللَّيْلِ قد وَصَلَ به إلى عرْضِ البَحْرِ في اتِّجاهِ الغَرْبِ وحَوْلَ مِنْطَقَةِ رَأْسِ الغاباتِ . اسْتَطاعَ حينَئِذٍ أنْ يَرى هسبانيولا وقد نُشِرَتْ أَشْرِعَتُها لِلإبْحارِ . غَيْرَ أنَّ حَرَكاتِها كانت غَريبَةً ، فقد كانت تَتَمايَلُ ذاتَ اليَمينِ وذاتَ اليَسارِ كما لو كانت تَسيرُ بِغَيْرِ رُبّانٍ ، ومَعْنى هذا أنْ يَكونَ هاندز ورِفاقُهُ قد غادَروا السَّفينَةَ . أمّا قارِبُ جيم الهَشُّ فَيَبْدو أنَّهُ كان يَنْحَرِفُ مُتَّجِهًا نَحْوَ السَّفينَةِ طولَ الوَقْتِ ، وما إنِ اقْتَرَبَ منها حَتّى رَآها تَدورُ بِبُطْءٍ . وما لَبِثَ أنْ شاهَدَ العَمودَ الضَّخْمَ المُرْتَفِعَ في مُقَدَّمَتِها يَكادُ يَكونُ فَوْقَ رَأْسِهِ . وسَواءٌ كان إسرا هاندز ورِفاقُهُ قد غادَروا السَّفينَةَ من قَبْلُ ، أو لا ، فقد قَرَّرَ جيم أنْ يَصْعَدَ إلى ظَهْرِ السَّفينَةِ ، ويَبْذُلَ قُصارى جَهْدِهِ لإنْقاذِها من أَجْلِ صالِحِ جَماعَتِهِ . وفي اللَّحْظَةِ المُناسِبَةِ حَسَبَ تَقْديرِهِ أَمْسَكَ بِحَبْلٍ وتَسَلَّقَهُ إلى ظَهْرِ السَّفينَةِ ، ولكنَّ ذلِكَ كَلَّفَهُ كَثيرًا ، فَعِنْدَ تَخَلُّصِ قارِبِهِ الصَّغيرِ من حُمولَتِهِ تَأَرْجَحَ في خُطورَةٍ بالِغَةٍ ثُمَّ ارْتَطَمَ بِجَوانِبِ هسبانيولا ، وأَخَذَ يَمْتَلِئُ بالماءِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتّى ابْتَلَعَهُ البَحْرُ واخْتَفى عَنِ الأَنْظارِ . ووَجَدَ جيم نَفْسَهُ مَتْروكًا كالغَريبِ على ظَهْرِ هسبانيولا .

أَخَذَ جيم يَتَطَلَّعُ حَوْلَهُ بِحَذَرٍ ، وشاهَدَ القُرصانَيْنِ اللَّذَيْنِ كان قد سَمِعَهُما من قَبْلُ يَتَشاجَرانِ ، وهُما مُمَدَّدانِ على السَّطْحِ . كان أَحَدُهُما مَيْتًا ، فقد كانت ذِراعُهُ مُتَصَلِّبَةً كما كانت تَعْلو وَجْهَهُ تَكْشيرَةٌ جامِدَةٌ كَشَفَتْ عن أَسْنانِهِ في مَنْظَرٍ رَهيبٍ . وأَيْضًا كانت هُناكَ دِماءٌ تُغَطّي كُلَّ مَكانٍ . أمّا الآخَرُ فقد عَرَفَهُ عِنْدَما تَحَرَّكَ وتَأَوَّهَ : لقد كان إسرا هاندز الَّذي نَظَرَ إلى جيم وسَأَلَهُ في صَوْتٍ أَجَشَّ :

« ماذا تَفْعَلُ هُنا أَيُّها الغُلامُ ؟ »

وفي حَرَكَةٍ سَريعَةٍ جَذَبَ جيم عَلَمَ القُرْصانِ وأَلْقى به إلى البَحْرِ ، ثُمَّ أجاب بِجُرْأَةٍ : « لقد جِئْتُ لِآخُذَ السَّفينَةَ . »

وغَمْغَمَ هاندز قائلًا : « ما لم تعاوِنّي في الإبْحارِ بها سَيُقْضى علينا مَعًا . لنَعْقِدْ صَفْقَةً عادِلَةً : أَعْطِني طَعامًا وضَمِّدْ لي جِراحي وأنا أُساعِدُكَ . »

أجابَهُ جيم مُوافِقًا : « وَهُوَ كَذلِكَ ، ولكنّنا هذه المَرَّةَ سَنُبْحِرُ بها إلى الخَليجِ الشَّماليِّ . »

كان رَدُّ هاندز : « لَيْسَ لي في الأَمْرِ خيارٌ ، أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟ »





ورَغْمَ أنّ جيم قد لاحَظَ الابْتِسامَةَ الماكِرَةَ الّتي رَسَمَها هاندز على شَفَتَيْهِ إلّا أنّهُ لم يَكُنْ أمامَهُ إلّا الرِّضا والاقْتِناعُ بأنّهُ قد عَقَدَ صفْقَةً طيِّبَةً. وأبْحَرَ الاثْنانِ معًا بالهسبانيولا في الخَليجِ الشّماليّ حَيْثُ خَطَّطَ جيم أنْ يَدْفَعَ بها إلى الشّاطِئِ على ساحِلٍ رَمْليٍّ. وأخَذَ هاندز يُواصِلُ الحَديثَ والابْتِسامَ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ كما لو كان يُضْمِرُ في نَفْسِهِ حيلَةً يَسْتَخْدِمُها عِنْدَ الحاجَةِ. وأخيرًا قالَ مُخاطِبًا جيم:

«أيُّها الكابْتِنُ جيم، هل تتَكَرّمُ بأنْ تُحْضِرَ لي زُجاجَةَ ماءٍ؟»

قالَ جيم وَهُوَ يَرْقُبُ هاندز جيِّدًا: «سأفْعَلُ.»

نَزَلَ جيم إلى الكابينَةِ في أسْفَلِ السَّفينَةِ عامِدًا ومُحْدِثًا صَوْتًا مَسْموعًا، ثُمَّ زَحَفَ في سُكونٍ تامٍّ إلى أعْلى لِيَرى ماذا مِنْ أمْرِ هاندز. كان من المُؤَكَّدِ أنّ هاندز قد سَحَبَ نَفْسَهُ عَبْرَ سَطْحِ السَّفينَةِ إلى حَيْثُ كان يَرْقُدُ رَفيقُهُ المَيْتُ، وأخَذَ يَبْحَثُ حَوْلَ الجُثَّةِ حَتّى وَجَدَ خِنْجَرَهُ المُلَوَّثَ بِالدِّماءِ فَأخَذَهُ ومَسَحَهُ خِلْسَةً ثُمَّ أخْفاهُ تَحْتَ سُتْرَتِهِ، وبَعْدَ ذلِكَ زَحَفَ مَرَّةً أُخْرى إلى مَوْقِعِهِ السّابِقِ.

صَعِدَ جيم بَعْدَئِذٍ إلى السَّطْحِ في حَذَرٍ وأعْطى هاندز الماءَ الّذي طَلَبَهُ. وما إنِ اسْتَدارَ جيم لِيُلْقِيَ بِبَصَرِهِ من فَوْقِ حاجِزِ السَّفينَةِ حَتّى لَمَحَ هاندز يَنْدَفِعُ نحوه بِقُوَّةٍ شاهِرًا خِنْجَرَهُ. وحاوَلَ جيم في نَفْسِ اللَّحْظَةِ أنْ يُطْلِقَ مُسَدَّسَيْهِ، ولكنّهما لم يَنْطَلِقا بِسَبَبِ ما أصابَ البارودَ من رُطوبَةٍ. وفيما يُشْبِهُ المُعْجِزَةَ حَدَثَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذّاتِ أنْ مَسَّتِ السَّفينَةُ قاعَ البَحْرِ، ثُمَّ جَنَحَتْ وألْقَتْ بِهاندز وجيم مَعًا على سَطْحِها. وكان جيم أسْبَقَ من صاحِبِهِ في النُّهوضِ والوُقوفِ على قَدَمَيْهِ، وأسْرَعَ يَتَسَلَّقُ حِبالَ أشْرِعِ الصّاري الرَّئيسِيِّ لِلسَّفينَةِ. لكنّ الوَحْشَ المَجْروحَ بَدَأَ يَتَسَلَّقُ خَلْفَهُ قابِضًا على خِنْجَرِهِ بَيْنَ أسْنانِهِ. وَصَلَ جيم إلى مَوْضِعٍ عالٍ، واسْتَطاعَ أنْ يَحْشُوَ مُسَدَّسَيْهِ ببارودٍ جافٍّ.

ثُمَّ فَجْأَةً رَفَعَ هاندز ذِراعَهُ بِحَرَكَةٍ سَريعَةٍ ورَمى جيم بالخِنْجَرِ، فَأصابَ قَميصَهُ وثَبَّتَهُ في صاري السَّفينَةِ. دَفَعَتِ الصَّدْمَةُ والمُباغَتَةُ جيم إلى أنْ يُطْلِقَ مُسَدَّسَيْهِ بِطَريقَةٍ عَشْوائِيَّةٍ، وكان الحَظُّ حَليفَهُ: ذلِكَ أنّ هاندز أطْلَقَ صَرْخَةً بِصَوْتٍ أجَشَّ وفَقَدَ تَوازُنَهُ وسَقَطَ رَأْسًا في البَحْرِ.



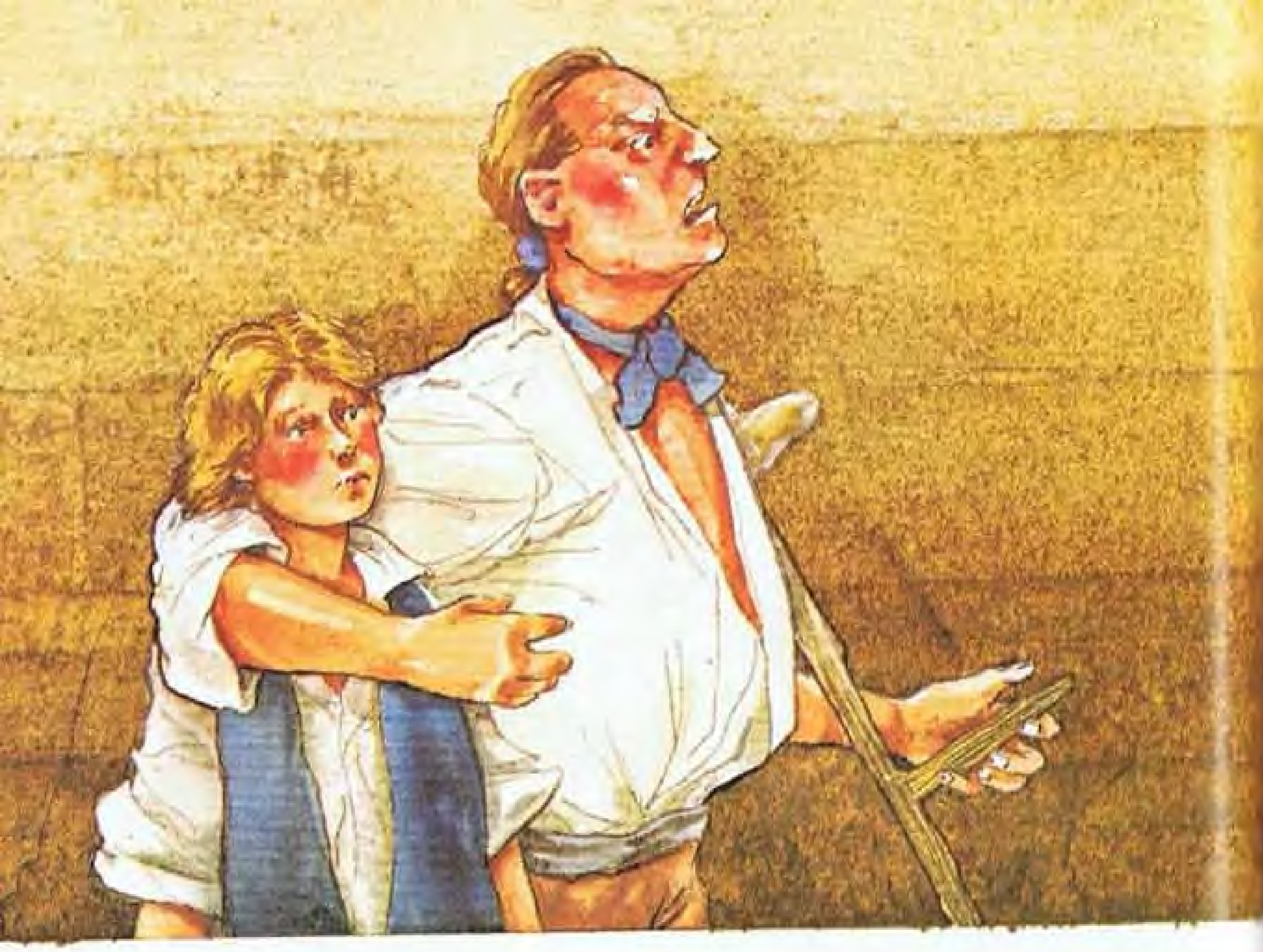


كانتِ الصَّدْمَةُ والخَوْفُ سَبَبًا في أنْ يَشْعُرَ جيم كأنَّهُ مُخَدَّرٌ ، ولكنّه لم يَكُنْ مُصابًا . هَبَطَ من مَوْقِعِهِ على صاري السَّفينَةِ إلى السَّطْحِ وَهُوَ لمّا يَزَلْ بَعْدُ يَرْتَجِفُ ، وكادَ أن يُغْمى عليه عِنْدَما وَقَعَ بَصَرُهُ على الجَسَدِ ذي التكشيرة الّذي كان ضَحيَّةَ هاندز . لكنّه اسْتَجْمَعَ شَجاعَتَهُ وأَمْسَكَ بالجُثَّةِ وأَلْقى بها من فَوْقِ حاجزِ السَّفينةِ لِتَسْتَقِرَّ في المِياهِ الصّافيَةِ بِجِوارِ جُثَّةِ إسرا هاندز . قَضى جيم بَعْضَ الوَقْتِ في تَثْبيتِ كُلِّ شَيْءٍ على ظَهْرِ السَّفينَةِ ، ثُمَّ انْدَفَعَ بِقُوَّةٍ مِنَ السَّفينَةِ المائِلَةِ إلى الشّاطِئِ .

كان الظَّلامُ قد حَلَّ عِنْدَما وَصَلَ جيم إلى الحاجِزِ الدِّفاعِيِّ ، وهُناكَ طَرَقَ سَمْعَهُ شَخيرُ بَعْضِ النّائِمينَ . وما إنْ دَخَلَ حَتّى سَمِعَ صِياحًا عالِيًا :

« قِطَعٌ ذاتُ ثَمانِيَةٍ – قِطَعٌ ذاتُ ثَمانِيَةٍ – قِطَعٌ ذاتُ ثَمانِيَةٍ . »

وأَحَسَّ جيم أنَّ قَلْبَهُ كادَ يَتَوَقَّفُ ؛ لقد كان ذلِكَ صِياحَ بَبَّغاءِ سيلڤر المُسَمّاةِ كابتن فْلِنْت . حاوَلَ جيم أنْ يَجْرِيَ بَعيدًا ، ولكنْ قُبِضَ عليه واحْتُجِزَ أسيرًا . وبادَرَهُ سيلڤر قائِلًا :



« إذًا فها هُوَذا جيم هوكنز الّذي جاءَ لِيَرى رُفَقاءَهُ القُدامى من رِجالِ السَّفينَةِ . أَلَيْسَ كذلِكَ ؟ »

ثُمَّ اسْتَرْسَلَ قائِلًا : « لقد جاءَ دكتور ليڤزي بِعَلَمٍ لِلْهُدْنَةِ ، وأَخْبَرَنا أنّ السَّفينَةَ قد رَحَلَتْ ، وأنَّكَ قد تَخَلَّيْتَ عنهم . »

فَجْأَةً انْدَفَعَ مورجان الفَظُّ القاسي نَحْوَ جيم وخِنْجَرُهُ في يَدِهِ . لكنَّ سيلڤر صاحَ فيه بِصَوْتٍ هادِرٍ : « عُدْ إلى مَكانِكَ يا مورجان ، إذا كُنْتَ تَتَمَرَّدُ على أوامِري فَعَلَيكَ أنْ تُقاتِلَني أَوَّلًا . »

تَراجَعَ مورجان بِجُبْنٍ وَهُوَ يُزَمْجِرُ ويَلْعَنُ . اسْتَمَرَّ سيلڤر في حَديثِهِ قائِلًا : « إنّني أنا الكابْتِنُ هُنا ، وما أَنْتُم إلّا مَجْموعَةٌ هَزيلَةٌ مِنَ الأَشْخاصِ الحَقيرينَ ، ولَيْسَ فيكُم مَن يَتَحَلّى بِروحٍ كَروحِ هذا الصَّبِيِّ جيم هوكنز . »



ثُمَّ اقْتَرَبَ من جيم وقالَ: « جيم يا وَلَدي ، لقد كُنْتَ على شَفيرِ المَوْتِ ، يَجِبُ أنْ يُسانِدَ كُلٌّ مِنّا الآخَرَ وإلّا كانت نِهايَتُنا . قِفْ بِجانِبي وأنا سَوْفَ أَقِفُ بِجانِبِكَ . إنّ كِلَيْنا يَقِفُ بِجانِبِ مستر تريلوني الآنَ لِدَرَجَةِ أنّهُ أَعْطاني الخَريطَةَ . »

اسْتَبَدَّتِ الحَيْرَةُ تَمامًا بِجيم. وفي الوَقْتِ نَفْسِهِ كان القَراصِنَةُ - فيما يَبْدو - يَتَناقَشونَ في أَمْرٍ ما على مَسافَةٍ من جيم وسيلڤر. ثُمَّ تَقَدَّمَ أَحَدُهُمْ بحَذَرٍ وَهُوَ مُمْسِكٌ بِوَرَقَةٍ صَغيرَةٍ في يَدِهِ. صاحَ فيه سيلڤر قائِلًا: «تَقَدَّمْ أَيُّها الرَّجُلُ فَلن آكُلَكَ.»

جَرَّ القُرصانُ قَدَمَيْهِ إلى الأَمامِ وأَعْطى الوَرَقَةَ لِسيلڤر الّذي غَمْغَمَ حينَ وَقَعَ بَصَرُهُ على ما فيها قائِلًا: «آه، البُقْعَةُ السَّوْداءُ، ذلِكَ ما خَطَرَ لي.» ثُمَّ واجَهَهُم جَميعًا وقالَ:

«إنّني ما زِلْتُ كابْتِنَ هذه السَّفينَةِ، ولقد عَقَدْتُ صَفْقَةً طَيِّبَةً مَعَ المستر تريلوني، أُنْظُروا إلى هذه.»

أَلْقى على الأَرْضِ خَريطَةً تَضُمُّ الجَزيرَةَ، وعليها العَلاماتُ الحَمْراءُ الّتي تُشيرُ إلى مَوْقِعِ الكَنْزِ. وفي الحالِ تَغَيَّرَتِ الحالَةُ المِزاجِيَّةُ لِلْقَراصِنَةِ وهَتَفوا جَميعًا: «فَلْيَعِشْ لونج جون سيلڤر إلى الأَبَدِ. إنّ رَجُلَنا هو باربكيو.»

تَعَجَّبَ جيم من مَقْدِرَةِ جون سيلڤر على إثارَةِ طَرَفٍ على طَرَفٍ آخَرَ بِكُلِّ هذه المَهارَةِ. وفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي جاءَ دكتور ليڤزي مُبَكِّرًا وفي يَدِهِ عَلَمُ الهُدْنَةِ. وبادَرَهُ سيلڤر قائِلًا: «أَحْلى صَباحٍ أَيُّها الطَّبيبُ. إنّ عِنْدي لكَ مُفاجَأَةً صَغيرَةً.»

وراحَ يَرْوي له عن وُصولِ جيم في اللَّيْلَةِ السّابِقَةِ. وساعَدَ بَعْضُهُم دكتور ليڤزي على تَخَطّي حاجِزِ الدِّفاعِ. واتَّجَهَ بَعْدَ ذلِكَ مُباشَرَةً لِلْعِنايَةِ بِالجَرْحى كما كان مُتَّفَقًا عليه من قَبْلُ. وبَعْدَ ذلِكَ قالَ الدُّكْتورُ:

«إنّي أَوَدُّ أَنْ أَتَحَدَّثَ قَليلًا مَعَ الغُلامِ.» ورَدَّ سيلڤر بِسُرْعَةٍ قائِلًا:

«طَبْعًا يا سَيِّدي، ولكنْ أَرْجو أَلّا يَغيبَ عن ذاكِرَتِكَ أَنّي أَنْقَذْتُ حَياةَ الغُلامِ أَكْثَرَ من مَرَّةٍ. ولذلِكَ أَرْجو أَنْ تَذْكُرَني بِخَيْرٍ.»

لم يكُنْ ذلك لونج جون الّذي أعْرِفُهُ ، فقد بَدا وكأنّه يكادُ يَتذَلَّلُ طَلبًا لِلرَّحْمَةِ . وعِنْدما ابْتَعَدَ الدُّكْتورُ وجيم عن مَسامِعِ سيلڤر ، قالَ الطَّبيبُ بِصَرامَةٍ مُخاطِبًا جيم :

« لقد تَسَبَّبْتَ لنا في مَتاعِبَ لا نِهايَةَ لها حينَ انْسَلَخْتَ عنّا مَرَّتَيْنِ مُعرِّضًا إيّانا جميعًا لِلْخَطَرِ ، ولكنّنا نَغْفِرُ لك . وكُلُّ ما نُريدُهُ منكَ هو أنْ تَعودَ إلينا وتَظَلَّ معنا . أَنْصِتْ إِلَيَّ يا جيم : دَعْنا نَفِرُّ من خَطَرِ هؤلاءِ النّاسِ حينَما يكونونَ في غَفلةٍ عَنّا . »

أجابَ جيم قائِلًا : « لا يا سَيِّدي الطَّبيب ، لقد أَعْطَيْتُ سيلڤر كَلِمَتي . قد يُعَذِّبونني ، ولكنّي لن أُخْبِرَهُم عَنِ السَّفينَةِ . »

تَساءَلَ الدُّكْتورُ : « هسبانيولا ؟ ماذا من أَمْرِها ؟ » رَوى جيم رِوايَتَهُ لِلدُّكْتورِ وكَيْفَ أنَّ السَّفينَةَ كانت وَقْتَئِذٍ راسِيَةً في الخَليجِ الشَّماليِّ . ورَدَّ عليه الدُّكْتورُ بِرِقَّةٍ قائِلًا :

« يا جيم ، إنّنا جَميعًا نَدينُ لك بِالكَثيرِ ، وسيسامحك كابتن سمولت . » ثُمَّ تَرَكَهُ الدُّكْتورُ وانْصَرَفَ .

أَدْرَكَ جيم بَعْدَ ذلِكَ أنّهُ أَصْبَحَ رَهينَةً في يَدِ سيلڤر الّذي اقْتَرَبَ منه وهَمَسَ في أُذُنِهِ : « جيم ، يَجِبُ أنْ نَتعاوَنَ . نحن الآنَ اثْنانِ ضِدَّ خَمْسَةٍ . فكُنْ إذًا قريبًا منّي دائِمًا . » ثُمَّ لَوَّحَ بِالخَريطَةِ وصاحَ بِمَرَحٍ مُخاطِبًا الجَميعَ :

« يا رِجالُ ، هَيّا الآنَ إلى الكَنْزِ . »

ثُمَّ قادَ العِصابَةَ المُسَلَّحَةَ بِالبَنادِقِ والمَجاريفِ وتَقَدَّمَ نَحْوَ التَّلِّ حَيْثُ كان الكَنْزُ مَدْفونًا .

وتَبِعَهُ القَراصِنَةُ في ابْتِهاجٍ شَديدٍ . وعلى حينِ غِرَّةٍ صَرَخَ أَحَدُهُم إذْ رأى هَيْكَلًا عَظْمِيًّا آدَمِيًّا قَدِ ابْيَضَّ لَوْنُهُ بِفِعْلِ الشَّمْسِ . وهُنا قالَ سيلڤر :

« هذا من عَمَلِ فْلِنْت . إنّهُ أَحَدُ السِّتَّةِ الّذين قَتَلَهُم بَعْدَ دَفْنِ الكَنْزِ . »



فَجْأَةً ، ومن غَيْرِ مَكانٍ مُحَدَّدٍ ، سُمِعَ صَوْتٌ عالٍ مُرْتَجِفٌ يُغَنّي :

« خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَوْقَ صُنْدوقِ الرَّجُلِ المَيْتِ ، يوهوهو ، يوهوهو . »

وفي رُعْبٍ شَديدٍ تَطَلَّعَ القَوْمُ إلى أَعْلى كما لو كانوا قد رَأَوا شَبَحًا .

وصَرَخَ مِري : « إنَّهُ فْلِنْت ، بِحَقِّ السَّماءِ . »

كان سيلڤر هو الوَحيدَ الّذي بَقِيَ رابِطَ الجَأْشِ . ثُمَّ صاحَ في رِجالِهِ :

« هَيّا أَيُّها الرِّجالُ ، إنَّ هُناكَ مَنْ يُريدُ أَنْ يَخْدَعَنا . ذلِكَ كان صَوْتَ بن جن . يُمْكِنُني أَنْ أُمَيِّزَهُ في أَيِّ مَكانٍ . وسَواءٌ أَكان حَيًّا أو مَيْتًا لم يَعُدْ يَهُمُّنا في شَيْءٍ . إنَّ الكَنْزَ هُنا بِكُلِّ تَأْكيدٍ ، وهُوَ لنا جَميعًا . »

عِنْدَئِذٍ تَكَتَّلَ الرِّجالُ وشَقّوا طَريقَهُم بِجَهْدٍ إلى قِمَّةِ التَّلِّ . وهُناكَ تَوَقَّفوا تَمامًا وتَسَمَّرَتْ أَقْدامُهُم ، إذ لم يَجِدوا أَمامَهُم سِوى حُفْرَةٍ خالِيَةٍ إلّا من فَأْسٍ مَكْسورَةٍ وقَليلٍ من قِطَعِ الخَشَبِ . وأَعْطى سيلڤر مُسَدَّسًا مَحْشُوًّا لِجيم وهُوَ يَهْمِسُ في أُذُنِهِ : « خُذْ هذا يا جيم ، سَتُواجِهُنا المَتاعِبُ . »

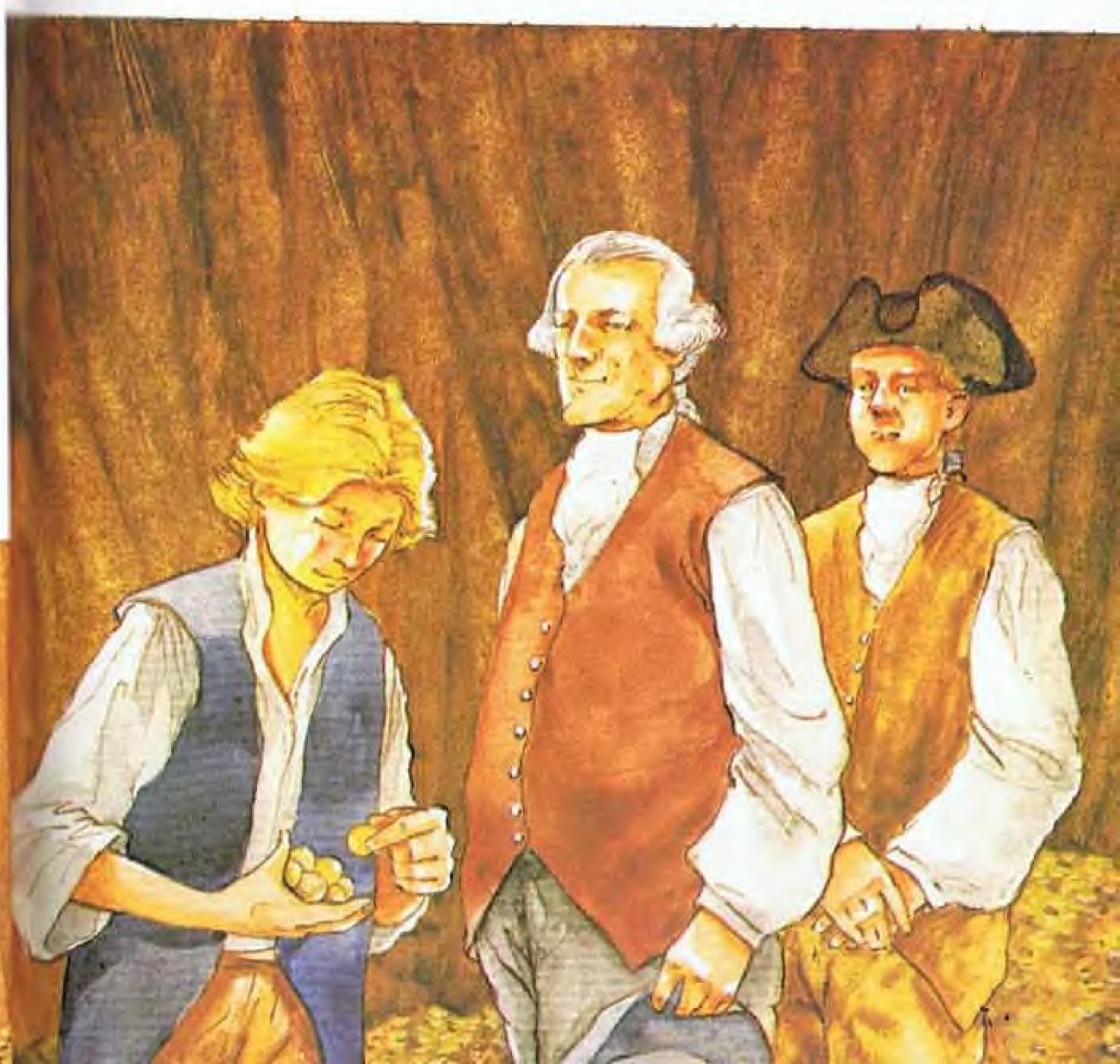
واجَهَ القَوْمُ سيلڤر بِنَظَراتٍ سَوْداءَ كَئيبَةٍ ، وتَحَدَّثَ إليهم مِري قائِلًا :

« أُنْظُروا أَيُّها الرِّجالُ ، إنَّهُما اثْنانِ ونحن خَمْسَةٌ . فَلْنُجْهِز عليهما . »

وكانوا على وَشْكِ أَنْ يَقوموا بِهُجومِهِم عِنْدَما انْطَلَقَتْ ثَلاثُ رَصاصاتٍ سَقَطَ مِري على أَثَرِها في الحُفْرَةِ صَريعًا ، كما وَقَعَ آخَرُ صَريعًا أَيْضًا على حافَّةِ الحُفْرَةِ . أَمّا الثَّلاثَةُ الآخَرونَ فقد فَرّوا هارِبينَ . عِنْدَئِذٍ بَرَزَ من بَيْنِ الأَشْجارِ دكتور ليڤزي وبن جن وجراي الوَفِيُّ وبَنادِقُهُم في أَيْديهِم والدُّخانُ لم يَزَلْ على فُوَّهاتِها . وخاطَبَهُم سيلڤر بِرَباطَةِ جَأْشِهِ ولُطْفِهِ المَعْهودِ قائِلًا : « أَعْتَقِدُ أَنَّكُم ظَهَرْتُم في الوَقْتِ المُناسِبِ » . ولَمّا رَأى بن جن قالَ : « ها أَنْتَ ذا يا بن جن ، كم أَنْتَ رَجُلٌ لَطيفٌ ! »



ثُمَّ اتَّجَهَ الجميعُ بَعْدَ ذلِكَ إلى القَوارِبِ ، وأَثْناءَ ذلِكَ أَخَذَ بن جن يَرْوي قِصَّتَهُ : كَيْفَ أَنَّهُ قامَ بالحَفْرِ بِنَفْسِهِ ، وأَخْرَجَ الكَنْزَ ، وحَمَلَهُ إلى كَهْفِهِ . وكان دكتور ليڤزي بِطَبيعَةِ الحالِ قد عَلِمَ بِذلِكَ من بن جن من قَبْلُ . وأَدْرَكَ جيم أَخيرًا لِماذا كان مستر تريلوني قد اتَّخَذَ قَرارَهُ بِتَرْكِ المَنْزِلِ الخَشَبِيِّ والخَريطَةِ لِسيلڤر ومَنْ معه مِنَ القَراصِنَةِ . لم يَكُنْ لِلْخَريطَةِ أَيَّةُ قيمَةٍ . وكان مستر تريلوني يَعْلَمُ أَنَّ في كَهْفِ بن جن ما يَكْفي من طَعامٍ ، كما كانت هُناكَ حِمايَةٌ كافِيَةٌ لِلْكَنْزِ . ولَمّا وَصَلوا إلى القَوارِبِ قامَ الدُّكْتورُ بِتَحْطيمِ اثْنَيْنِ منها تَخُصّانِ القَراصِنَةَ ، واسْتَخْدَمَ القارِبَ الثّالِثَ الباقِيَ لِحَمْلِ جَماعَتِهِ إلى الخَليجِ الشِّماليِّ ومن ثَمَّ إلى كَهْفِ بن جن .



لقد كان الكَهْفُ فَسيحًا طَلْقَ الهَواءِ ، وكان مُجَهَّزًا تَجْهيزًا تامًّا بالطَّعامِ والماءِ العَذْبِ . وكان يَجْلِسُ بِداخِلِهِ مستر تريلوني وكابتن سمولت اللَّذانِ رَحَّبا بِجيم بِحَرارَةٍ . وقد تَكَدَّسَتْ حَوْلَهما جِبالٌ من قِطَعِ العُمْلَةِ الذَّهَبِيَّةِ ، وأَبْراجٌ من سَبائِكِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ . ذلِكَ كان كَنْزَ فلنت ، وقد أَصْبَحَ الآنَ مِلْكَ أَيْديهِم ، لكِنَّ ثَمَنَ ذلِكَ كان فادِحًا : فُقْدانُ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً .

اسْتَقْبَلَ القَوْمُ لونج جون بِبُرودٍ ، ولكِنْ تَبَيَّنَ لهم أَنَّ جيم مَدينٌ له بِحَياتِهِ . وأُقيمَتْ وَليمَةٌ ذاكَ المَساءَ فكان كُلُّهُ بَهْجَةً ومَرَحًا . وكان هُناكَ جون سيلڤر - نَفْسُ الشَّخْصِ القَديمِ - على اسْتِعْدادٍ لِلتَّقَدُّمِ وَثْبًا إذا دَعَتِ الحاجَةُ إلى ذلِكَ ، كأَنَّهُ واحِدٌ مِنَ الجَماعَةِ . إنَّ هذا المُتَشَرِّدَ العَجوزَ كان يَبْدو وقد تَحَوَّلَ إلى طَبّاخِ السَّفينَةِ الهادِئِ المَرِحِ المُهَذَّبِ ، وذلِكَ أَثْناءَ إبْحارِها .

وفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي بَدَأَ الرِّجالُ يَعْمَلونَ بِجِهْدٍ على نَقْلِ الكَنْزِ إلى الشّاطِئِ ثُمَّ حَمْلِهِ بالقارِبِ مَسافَةَ ثَلاثَةِ أَمْيالٍ إلى الهسبانيولا الّتي كانت راسِيَةً في الخَليجِ الشِّماليِّ بَعْدَ خُروجِها سالِمَةً مِنَ المَدِّ المُرْتَفِعِ . وبَعْدَ انْقِضاءِ ثَلاثَةِ أَيّامٍ مِنَ الجَهْدِ الشّاقِّ كان كُلُّ شَيْءٍ قد حُمِّلَ على ظَهْرِها . لم يَكُنْ هُناكَ ما يُشيرُ إلى وُجودِ القَراصِنَةِ الثَّلاثَةِ الّذينَ كانوا قَدِ انْسَلَخوا عن إخْوانِهِمْ ، لِذلِكَ تَقَرَّرَ الإبْحارُ وتَرْكُهُمْ على الجَزيرَةِ ، وهُمْ على الأَقَلِّ سَوْفَ يَجِدونَ ما يَكْفيهِمْ من طَعامٍ وبارودٍ وبَنادِقَ في كَهْفِ بن جن .



وهكذا عِنْدما ارْتَفعَ المَدُّ في اليَوْمِ التّالي أبْحرَتْ هسبانيولا إلى أقْرَبِ ميناءٍ في أميركا الجَنوبيّةِ. وهُناكَ اسْتَمْتعَ مُعْظَمُ الرِّجالِ بِيَوْمٍ حافِلٍ على الشّاطِئ، ولم يَتْرُكوا سِوى سيلڤر وبن جن لِحِراسَةِ السَّفينَةِ. كان يَجِبُ أنْ يُدْركوا جيِّدًا ماذا يُمْكِنُ أنْ يَحْدُثَ. ذلِكَ أنّهُمْ حينَ عادوا لم يَجِدوا سِوى بن جن في مَوْقِعِهِ على السَّفينَةِ، ولم يَكُنْ هُناكَ أيُّ أثَرٍ لِسيلڤر وكما تُمْليهِ طَبيعَتُهُ لم يَذْهَبْ صِفْرَ اليَدَيْنِ، فقد أخَذَ معه كيسًا مَليئًا بالعُمْلاتِ التّي تُقَدَّرُ بِحَوالى أرْبَعمائَةٍ مِنَ الجُنَيْهاتِ الإسْتَرْلينِيَّةِ. وفي الحَقيقَةِ فقد كان كُلُّ فَرْدٍ سَعيدًا أنْ يَرى المُتَشَرِّدَ وقد رَحَلَ عنهُمْ إلى غَيْرِ رَجْعَةٍ. وكان ثَمَنُ ذلِكَ رَخيصًا.

وفي الوَقْتِ المُناسِبِ أبْحرَتْ هسبانيولا إلى إنْجلْترا، وكُلُّ رَجُلٍ على ظَهْرِها عادَ أكْثَرَ ثَراءً مِمّا كان عِنْدَ بَدْءِ رَحيلِهِ. وسُرْعانَ ما بَرِئَ كابتن سمولت من جِراحِهِ، ومن ثَمَّ عاشَ في حالَةِ تَقاعُدٍ مُريحٍ لِلْغايَةِ. وأمّا جراي - ذلِكَ الرَّجُلُ الأمينُ الوَفِيُّ - فقد شارَكَ في مُلْكِيَّةِ سَفينَةٍ خاصَّةٍ. وأمّا بن جن فقد بَدَّدَ نَصيبَهُ في المُكافَأةِ بِأسْرَعِ ما يُمْكِنُ مِمّا دَعا مستر تريلوني أنْ يُعَيِّنَهُ حارِسًا لِبَيْتِهِ. وأخيرًا عادَ جيم إلى أُمِّهِ في مَقْهى بِنْبو على قِمَّةِ المُنْحَدَراتِ الصَّخْرِيَّةِ، وظَلَّ لِسَنواتٍ كَثيرَةٍ بَعْدَ مُغامَراتِهِ يَسْتَيْقِظُ أحْيانًا وَهُوَ يَظُنُّ أنّهُ سَمِعَ الصَّوْتَ الحادَّ لِبَبَّغاءِ سيلڤر وَهِيَ تَصيحُ:

«قِطَعٌ ذاتُ ثَمانِيَةٍ - قِطَعٌ ذاتُ ثَمانِيَةٍ - قِطَعٌ ذاتُ ثَمانِيَةٍ.»



روبرت لويس ستيڤِنْسُن



كانَ روبرت لويس ستيڤِنْسُن رَحّالَةً مُغامِرًا وإنْسانًا رومَنْسِيًّا، واشْتَهَرَ - حَتّى خِلالَ حَياتِهِ القَصيرَةِ - كَروائِيٍّ ناجِحٍ وشاعِرٍ وكاتِبِ مَقالاتٍ مُتَميِّزِ الأُسْلوبِ. وقَدْ حَفَلَتْ حَياتُهُ بِالإثارَةِ كَما حَفَلَتْ رِواياتُهُ الشَّهيرَةُ بِالمُغامَراتِ.

وُلِدَ ستيڤِنْسُن عامَ ١٨٥٠ في إدنبره، إسكتلندا، وكانَ وَحيدًا لِوالِدَيْنِ مَيْسورَيْنِ. عاشَ طُفولَةً هادِئَةً مُنْطَوِيَةً، وعانَى مِنِ اضْطِراباتٍ صِحِّيَّةٍ. كانَ والِداهُ يَرْغَبانِ أَنْ يُتابِعَ عَمَلَ والِدِهِ كَمُهَنْدِسٍ لِلمَناراتِ فَالْتَحَقَ بِجامِعَةِ إدنبره لِدراسَةِ الهَنْدَسَةِ. وسُرْعانَ ما اكْتَشَفَ مَوْهِبَتَهُ في الكِتابَةِ وتَحَوَّلَ إلى دِراسَةِ القانونِ ونالَ شَهادَةً فيهِ. ولٰكِنَّهُ لَمْ يُزاوِلِ المُحاماة إذْ أَخَذَ يَنْشَغِلُ بِرِحْلاتِهِ.

رَحَلَ ستيڤِنْسُن إلى فرنسا لِأَسْبابٍ صِحِّيَّةٍ ووَصَفَ مُغامَراتِهِ في كِتابِهِ «**رِحْلات عَلى ظَهْرِ حِمار**» (١٨٧٩) الّذي لاقَى نَجاحًا مَقْبولًا. اِلْتَقَى - في فرنسا - بِالأَميرِكِيَّةِ فاني أُوسبورْن، وهِيَ امْرَأَةٌ مُطَلَّقَةٌ ولَها طِفْلانِ، فَأَحَبَّها بِعُمْقٍ، حَتّى إنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَلْحَقَ بِها إلى أَميركا، فَسافَرَ بِالباخِرَةِ ثُمَّ بِالقِطارِ في ظُروفٍ مُرْهِقَةٍ كادَتْ تودي بِحَياتِهِ. ولٰكِنَّهُ اسْتَرَدَّ عافِيَتَهُ، وتَزَوَّجَ مِنْها سَنَةَ ١٨٨٠.

عامَ ١٨٨١ عادا إلى أوروبّا لِيَعيشا في إسكتلندا، حَيْثُ بَدَأَ رِوايَتَهُ «**جَزيرَة الكَنْز**» (١٨٨٣)، ثُمَّ انْتَقَلا إلى سويسرا، ثُمَّ إلى إنكلترا. وفي بورنْماوث كَتَبَ ستيڤِنْسُن رِوايَتَهُ «**دكتور جيكل ومستر هايد**» (١٨٨٦) التي لاقَتْ نَجاحًا هائِلًا، أَعْقَبَهُ نَجاحُ رِوايَةِ «**المَخْطوف**» (١٨٨٦).

إعْتَلَّتْ صِحَّةُ ستيفِنْسُن ثانِيَةً، فَقَرَّرَتِ العائِلَةُ العَوْدَةَ إلى أميركا عامَ ١٨٨٧؛ وقَدْ أَمْضَى هُناكَ عامًا انْكَبَّ خِلالَهُ على التَّأْليفِ. أَبْحَرَ هُوَ وأَفْراد عائِلَتِهِ، عامَ ١٨٨٨، في يَخْتِهِم الخاصِّ، إلى جُزُرِ جنوبِ المُحيطِ الهادئ، وهٰذِهِ الرِّحْلَةُ كانَتْ تُراوِدُ أَحْلامَ ستيفِنْسُن ولَطالَما ظَهَرَ شَغَفُهُ بِمِثْلِها في كِتاباتِهِ. وقَدِ ابْتَهَجَ ستيفِنْسُن بِهٰذِهِ الرِّحْلَةِ إذْ لاءَمَ الطَّقْسُ صِحَّتَهُ وحَرَّكَ البَحْرُ مَشاعِرَهُ وأَثارَتْهُ طَبيعَةُ الجُزُرِ وسُكّانِها. ولَمّا وَصَلوا، في سَنَةِ ١٨٨٩، إلى جَزيرَةِ أوبولو، وهي إحْدى جُزُرِ السّاموا، قَرَّروا الاسْتِقْرارَ هُناكَ، فَبَنَوْا مَنْزِلًا فَخْمًا عاشوا فيهِ سُعَداءَ وانْدَمَجوا في المُجْتَمَعِ المَحَلِّيِّ.

كَتَبَ ستيفِنْسُن «**كاتريونا**» وبَدَأَ كِتابًا آخَرَ، ولٰكِنْ، بِالرَّغْمِ مِنَ المُناخِ المُناسِبِ وأَثَرِ تِلْكَ السَّنَواتِ السَّعيدَةِ، فَإِنَّ حالَتَهُ الصِّحِّيَّةَ قَدْ ساءَتْ. وفي الثّالِثِ مِنْ كانونَ الأَوَّلِ (ديسمبر) عامَ ١٨٩٤ تُوُفِّيَ ستيفِنْسُن ودُفِنَ عَلى رَأْسِ تَلَّةٍ تُشْرِفُ عَلى مَنْزِلِهِ وعَلى البَحْرِ.

كتب الفراشة - القصص العالميّة

١ - الدُّكتور جيكل ومِستر هايْد
٢ - أوليڤَر تْويشْت
٣ - نِداء البَراري
٤ - موبي دِك
٥ - البَحّار
٦ - المخْطوف
٧ - شَبَح باسْكِرْڤيل
٨ - قِصَّة مَدينَتين
٩ - مونْفليت
١٠ - الشَّباب
١١ - عَوْدة المُواطِن
١٢ - الفُنْدق الكبير
١٣ - حَوْلَ العالَم في ثمانينَ يَومًا
١٤ - رِحْلَة إلى قَلْب الأرض
١٥ - كُنوز الملِك سُلَيْمان
١٦ - سايْلس مارْنَر
١٧ - شيرْلي
١٨ - رِحلات غاليڤر
١٩ - بعيدًا عن صَخب النّاس
٢٠ - مُغامَرات هاكِلْبري فين
٢١ - ديڤيد كوپرفيلد
٢٢ - البيت المُوْحِش (بْليك هاوْس)
٢٣ - المهر الأسود (بْلاك بْيُوتي)
٢٤ - جين إير
٢٥ - روبنسون كروزو
٢٦ - جزيرة الكنز
٢٧ - مرتفعات وَذَرِنغْ
٢٨ - الأمير والفقير
٢٩ - توم براون في المدرسة

كتب الفراشة

القصص العالميّة ٢٦. جزيرة الكنز

هي الجزيرة المرسومة على الخريطة التي وجدها الفتى جيم هوكِنْز في صندوق بيلي بونْز، القبطان المَيْت. فتُنظَّم رحلة، بحثًا عن الكنز، يُشارك فيها جيم وبحّارة قُساة كانوا يلاحقون بيلي بونْز. وتبدأ المغامرات حين يُضطرّ جيم ورفاقه لمواجهة القراصنة بقيادة ذي الساق الخشبيّة لونج جون سيلڤر.

أصبحت هذه القصّة، بأحداثها الممتعة والمشوِّقة، من أهمّ القصص التي تتناقلها الأجيال.



مكتبة لبنان ناشرون

01C196826

TREASURE ISLAND